

# اٹاک کریستا



موقع فی بخش اول



## أجاثا كريستي

{1976 – 1890}

الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

- بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نسبها ملكة عليهم جميعاً. تميزت أيضاً بأنَّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنَّهم تعرضوا في الرواية لظروف أُزالت القناع الحضاري عن الوحش القابعة في أعماق كلِّ إنسان. كذلك لم تلجم الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجم إلينا. رواياتها تضمنَّت أيضاً أهدافاً إنسانية فحواها أنَّ (الجريمة لا تفي) وأنَّ الخير هو المنتصر في النهاية.

موعد في بغداد

## They Came to Baghdad

«فيكتوريا جونز» – التي تعمل على الآلة الكاتبة – مفعمة بالموهبة: متكبرة، جميلة وكاذبة ولا تخشى شيئاً. عندما تقابل «إدوارد» في وقت تناول الغداء تعجب به في الحال وهذا يرجع بالأحرى إلى لاوعيها وشجاعتها. هل لابد من أن يسافر إلى «بغداد» في اليوم التالي؟ إنها ستتحقق به. مثل هذه التفاصيل لن توقف «فيكتوريا».

للأسف! لم تجد أثراً لـ«إدوارد» لدى وصولها إلى «بغداد». كيف تتصرف إذن؟ كيف تتصرف وهي تشعر بالضياع في الطرف الآخر من العالم دون أي فلس ودون أن تعرف أي أخبار عن هذا الرجل الذي قطعت الرحلة من أجله؟ كيف تتصرف عندما يموت رجل مطعوناً بخنجر بحجرتها في الفندق؟ شعرت «فيكتوريا» بالجنون لبعض الوقت. لكن بعد هذا كان جميلاً أن تجد نفسها مشتركة في مغامرات مخبرين سريين! لكن في هذه المرة ربما تكون قد شططت بعيداً...

## ثمن الكتاب

ISBN ٩٩٥٣٣٨٢٥٥-٧



9 789953 382555

لبنان	5000	ل.ل.
سوريا	100	ل.س.
الأردن	2	دينار
السعودية	10	ريالات
الكويت	1	دينار
الإمارات	10	دراهم
البحرين	1.5	دينار
قطر	10	ريالات
عمان	1.5	ريال
مصر	10	جيئهات
المغرب	30	درهماً
ليبيا	5	دنانير
تونس	4	دنانير
اليمن	400	ريال

**موعد في بغداد**



پونارہ الأسطہ

## يُقدّم الرواية المعرّبة

"موعد في بغداد" (85)

# تأليف الكاتبة والأديبة العالمية أجاثا كريستي

تعریف الأدیب  
عمر عبد العزیز أمین

الناشر

دار میوزیک للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م : م

الادارة العامة والتوزيع

تلفون 00 961 9 212 666 فاکس 00 961 9 212 665

ص.ب 374 جونیه - لبنان

Email:info@inter-press.org

[www.inter-press.org](http://www.inter-press.org)

وكالات التوزيع  
المراكز الدولي - دار البشير

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة مرئية أو صوتية... إلخ  
إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

تأليف

**Agatha Christie**

الاسم الأصلي للكتاب

**They Came to Baghdad (1951)**

الغلاف بريشة الفنان

صلاح عناني

جميع حقوق الترجمة محفوظة لشركة دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.  
وذلك بموجب الإقرار والتنازل الموثق لدى وزارة العدل - مصلحة الشهر العقاري والتوثيق  
مكتب شمال القاهرة - توثيق مصر الجديدة - جمهورية مصر العربية - تحت رقم 2390 تاريخ 16/06/1985  
ولا يحق لأي كان نشر أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة كانت ...  
إلا بعد أخذ موافقة خطية من الناشر

## الفصل الأول

غادر الكابتن "كروسيبي" مبني البنك، وعلى وجهه من مظاهر الارتياح ما يبدو على وجه رجل صرف لتوه شيئاً ببلع كبير، واكتشف في ذات الوقت أن له رصيداً أكبر مما كان يظن.

كان قصير القامة، أحمر الوجه، مشوش الشاربين، عسكري المظهر، يؤثر الشياط ذات اللون الصارخ، ويحب النكتة الطريفة. ولكنه كان - إلى جانب ذلك - إنساناً مهاباً ومحبوباً.

وسار الكابتن "كروسيبي" في شارع أطلق عليه اسم "شارع البنك"؛ لأنه يضم أكثر المؤسسات المصرفية في "بغداد"، وأحسن على الفور بالفارق بين الجلو في داخل البنك وبينه في خارجه.

ففي البنك، كان الهواء مكيفاً والنور هادئاً، والسكنون شاملأً فيما عدا الآلات الكاتبة، أما الشارع فكان يسبح في أشعة الشمس الحارقة، ويعج بالمارة وقد امتلا جوه بالأترة والغبار، واختلط فيه ضجيج السيارات بصياح الباعة الجائلين رجالاً ونساء وأطفالاً، وهم يعرضون على المارة بضائعهم من حلوي وبرتقال وموز وشفرات للحلقة. وكان الزحام شديداً ، والشارع غاصاً بالسيارات والعربات والحمير والمشاة، فراح الكابتن "كروسيبي" يشق طريقه وسط الزحام، وتوقف لحظة ليبتاع جريدة من أحد باعة الصحف، ثم انحدر في شارع "الرشيد" وهو الشارع الرئيسي الذي يشق المدينة بمحاذاة نهر "دجلة" .. على مدى ستة كيلو مترات.

وفي الطريق، تمهل الكابتن "كروسيبي" في سيره قليلاً؛ ليتصفح الجريدة، ثم واصل سيره، وبعد أن اجتاز نحو مائة متر، انحرف يميناً.. وسار في زقاق ضيق يؤدي إلى فناء واسع وسط مبني كبير، وانتهى إلى باب في هذا الفناء عليه لافتة نحاسية ، ففتح الباب ودخل، ووجد نفسه في غرفة أعدت لتكون مكتباً.

وقف لاستقباله شاب عراقي كان يكتب على الآلة الكاتبة، وقال وعلى شفتيه ابتسامة ترحيب :

- طاب صباحك يا كابتن.. هل من خدمة أؤديها لك؟

- هل السيد "داكن" في مكتبه؟ حسناً.. إنني أعرف الطريق. وفتح بابا. وارتقي سلما، ومشي في دهليز طوبيل يحتاج إلى النظافة.. وطرق بابا في نهاية الدهليز، وسمع صوتا من الداخل يقول:

- ادخل. ودخل الكابتن "كروسي" غرفة فسيحة ليس بها من الأثاث سوى مكتب ضخم، وأريكة كبيرة، ومائدة عليها موقد، وآنية مليئة بالماء. وكان يجلس أمام المكتب رجل مهدل الشباب.. ويبدو كإنسان يائس أتلف حياته، واستسلم لصيراه. وتبادل الرجلان التحية، وقال "داكن":

- هل عدت من "كركوك"؟ فأواماً "كروسي" برأسه علامة الإيجاب، ثم اثنى إلى الباب فاغلقه بعنابة. وعندما عاد، بدا أكثر تواضعاً، وأقل ثقة بنفسه مما كان عندما دخل، بينما اعتدل "داكن" في جلسته وبدا أكثر أهمية من زائره. قال "كروسي":

- هل من جديد يا سيدي؟

- نعم.. وكانت بين يدي "داكن" - حين دخل عليه "كروسي" - رسالة بالشفرة يعالج حل رموزها، وما إن فرغ من ذلك حتى قال:

- سيعقد الاجتماع في "بغداد". وأشعل عود ثقاب، وأحرق الورقة التي سجل عليها ترجمة الرسالة، حتى إذا تحولت إلى رماد فركها بإصبعيه قائلاً:

- لقد وقع اختيارهم على "بغداد" في النهاية، وتقرر أن يعقد الاجتماع في العشرين من الشهر القادم.. ومن واجبنا أن نعمل على أن يظل مكان الاجتماع موعده سراً لا يعلم به أحد.

- إن الناس في الشوارع يتناقلون هذا السر منذ ثلاثة أيام.. فابتسم "داكن" وقال:

- هذا صحيح، فالأسرار في بلاد الشرق ملك للجميع.. ألا ترى ذلك أيضاً يا "كروسي"؟

- نعم يا سيدي. بل وأستطيع أن أضيف أن الأسرار لا وجود لها في الشرق أو في غيره، وقد تبيّنت خلال الحرب أن صبي الملاع في "لندن" يعرف من الأسرار

- أكثـر ما تعرف القيـادة العامة.
- على كل حال، إذا كان المؤتـمر سـيعقد في "بغـداد" ، فـلا بد أن يـعلم الناس بأـمره قـريبا.
- وهـل تـعتقد يا سـيدـي أنه سـينجـح؟
- إذا كان الغـرض من المؤـتمر هو استـعراض العـضـلات، وـمناقـشـة المـبـادـئ والإـيديـولـوجـيات فـمن المـحـقـق أنه سـيفـشـل، وـسيـنتـهي كـغيرـه من المؤـتمـرات في جـوـ من الـرـيبـ والـشـكـوكـ. ولـكـنـي أـعـتـقـدـ أنـ هـذاـ المؤـتمـرـ سـوفـ يـخـتـلـفـ عنـ سـابـقـيهـ؛ بـسـبـبـ ظـهـورـ عـنـصـرـ طـارـئـ. ولو صـحتـ القـصـةـ المـذـهـلةـ التـيـ روـاهـاـ "كارـمـايـكـلـ" .. وـكـفـ عنـ الـكـلامـ فـهـتـفـ "كرـوـسـبيـ" :
- لا يمكن أن تكون القـصـةـ صـحـيـحةـ. أـنـتـ نـفـسـكـ قدـ وـصـفـتـهاـ بـأـنـهاـ مـذـهـلةـ.
- فـصـمـتـ "داـكـنـ" ، وـمـرـتـ بـذـهـنـهـ ذـكـرـيـاتـ لـاـ يـكـنـ لـشـلـهـ أـنـ يـنـسـاـهـاـ. وـتـذـكـرـ تـعـقـيـبـهـ حينـ قـالـ : إـمـاـ أـنـ يـكـونـ أـفـضـلـ جـوـاسـيـسـيـ قدـ أـصـابـهـ مـسـ مـنـ الـجـنـونـ، أـوـ يـكـونـ قدـ قالـ الصـدـقـ .. وـفيـ هـذـهـ الـحـالـةـ .. وـاستـطـرـدـ "داـكـنـ" يـقـولـ :
- كـانـتـ جـمـيعـ الـقـرـائـنـ تـؤـيدـ صـدـقـ رـوـاـيـةـ "كارـمـايـكـلـ" .. وـلـذـلـكـ اـنـطـلـقـ للـبـحـثـ عنـ الـأـدـلـةـ التـيـ تـؤـيدـ كـلـامـهـ .. وـلـأـدـرـيـ أـلـخـطـاتـ أـمـ أـصـبـتـ حـينـ سـمـحـتـ لهـ بالـرـحـيلـ. وـلـكـنـهـ إـذـاـ عـادـ إـلـىـ "بغـدادـ" فيـ الـيـومـ الـعـشـرـينـ مـنـ الشـهـرـ الـقـادـمـ .. وـأـعـادـ رـوـاـيـةـ قـصـتهـ، وـقـدـ الـأـدـلـةـ .. فـسـيـ... ..
- الـأـدـلـةـ؟!
- نـعـمـ. الـأـدـلـةـ.. لـقـدـ حـصـلـ عـلـيـهـاـ.
- وـكـيـفـ عـلـمـتـ؟
- لـقـدـ حـمـلـ إـلـىـ "صلاحـ حـسـنـ" الرـسـالـةـ المـتـفـقـ عـلـيـهـاـ بـيـنـيـ وـبـيـنـ "كارـمـايـكـلـ" ..
- وـالـرـسـالـةـ هـيـ «اجـتـازـ الجـمـلـ مـرـ "خـيـرـ"» . وـصـمـتـ "داـكـنـ" لـحظـةـ ثـمـ استـطـرـدـ قـائـلاـ:
- إـنـ مـعـنـيـ هـذـهـ الرـسـالـةـ أـنـ نـجـحـ فـيـ مـهـمـتـهـ وـحـصـلـ عـلـىـ الـأـدـلـةـ، وـلـكـنـ أـلـئـكـ الـذـينـ يـعـنـيـمـ الـأـمـرـ، وـيـهـمـهـ لـاـ يـنـجـحـ "كارـمـايـكـلـ" فـيـ إـقـامـةـ الدـلـلـ قـدـ عـلـمـواـ بـأـمـرـ رـحـيلـهـ، وـمـنـ الـحـقـقـ أـنـهـمـ يـجـدـونـ الـآنـ فـيـ أـثـرـهـ لـيـمـنـعـهـ مـنـ الـعـودـةـ. سـوـفـ

يكمون له في الطريق، فإذا عجزوا عن الإيقاع به، ترصدوه هنا في "بغداد"، وضرروا سياجا حول جميع السفارات والقنصليات للفتك به إذا حاول الاتصال بهم.. انظر.

وتناول عددًا من الصحف المبعثرة فوق مكتبه وراح يقرأ عنواين بعض أنبائها.

- «اغتيال رجل إنجليزي كان في رحلة بالسيارة من "إيران" إلى "العراق"» ... «امصرع تاجر كردي في كمين بالجبل»، «أحد جنود الحدود يقتل كرديا يدعى "عبد الله حسان" إنه يقال كان يستغل بالتهريب» .. «العثور في طريق "رواندوز" على جثة لشخص مجهول، ثبت فيما بعد أنها جثة سائق سيارة أرميني».

وما يلفت النظر أن أوصاف جميع الضحايا في هذه الحوادث تنطبق على أوصاف "كارمايكيل". إنهم يريدون تدميره، ولا يتورعون عن تدمير أي شخص يرتابون في أن يكون "كارمايكيل".

ومتى وصل "كارمايكيل" إلى "العراق"، فإن الخطر عليه سيكون أشد، وسوف يتبعن عليه أن يحذر جميع الناس، من موظفي المطار والجمارك إلى خدم القنصليات والفنادق؛ لأن الحلقة ستتضيق حوله، وسيحاصر من كل جانب. فقال "كروسبي" في دهشة:

- أتعتقد ذلك حقاً يا سيد؟

- نعم، والأدهى من ذلك أن بعض أسرارنا قد تسربت، حتى أصبحت أشك في جدوى الإجراءات التي اتخذناها لحماية "كارمايكيل" عند عودته إلى "العراق" .. إذ من يدرينا أن هذه الإجراءات لم تتسرّب إلى العدو؟ ومن يدرينا أنه لا يوجد في منظمتنا من يعمل لحساب الآخرين؟

- هل ترتاب في شخص بعينه؟ فهز "داكن" رأسه سلبا، وظهرت مظاهر الارتياح على وجه "كروسبي". قال:

- وهل من رأيك أن نمضي في طريقنا؟

- نعم.

- هل ثمة أنباء عن "كرفتون لي"؟

- إنه سيحضر إلى "بغداد". وانصرف "كروسيي"، وظل "داكن" جالساً أمام مكتبه.. وغمغم قائلاً بصوت خافت:

- لقاء في "بغداد" .. ثم تناول قلماً. ورسم دائرة على ورقة أمامه، وكتب في وسط الدائرة الكلمة "بغداد" .. ثم رسم صورة جمل وطايرة وبآخرة وقطار، وجميعها تتجه نحو الدائرة، ثم رسم في ركن الورقة صورة نسيج عنكبوت، وكتب تحته هذا الاسم:

"هيلين شيل" .. ثم رسم تحت هذا كله علامة استفهام كبيرة. وبعد لحظة، تناول قبعته، وغادر مكتبه.. وفي شارع "الرشيد" مر برجلين نظراً إليه بعد أن ابتعد عنهما وقال أحدهما:

- من هذا الرجل؟ فأجابه الآخر:

- إنه السيد "داكن" ، وهو يعمل في إحدى شركات البترول .. رجل طيب، ولكنه كسول ولا أعلم إذا كان يسرف في الشراب كما يقول البعض، ولكنني واثق بأنه لا، ولن يصلح لشيء.

- هل لديك التقرير الخاص بأملاك "كروجنهوف" يا آنسة "شيل"؟

- نعم يا سيد "مورجنتال" . وقدمت "هيلين شيل" التقرير إلى رئيسها.. قال: - أظن أنه مقتنع.

- أعتقد ذلك يا سيد ي "مورجنتال" .

- هل جاء "شواترز"؟

- إنه في قاعة الانتظار.

- دعيمهم يبعثون به إلى.. فضغطت "هيلين شيل" أحد الأزرار ثم قالت:

- هل أنت في حاجة إلى يا سيد "مورجنتال"؟

- كلا. فانصرفت "هيلين شيل" في هدوء.. كانت شقراء، بلاتينية الشعر، لها عينان زرقاوان شاحبتان، تتألقان وراء نظارة سميكة، ووجه دقيق القسمات. ولكنه جامد لا يعبر عن شيء. صفوته القول إنها لم تكن من الطراز الذي يفتن الرجال، وإنها إذا كانت قد احتلت في عملها مركزاً مرموقاً.. فالفضل في ذلك

يرجع إلى موهبها. لا لجمالها وجاذبيتها. وكان أبرز موهبها قوة ذاكرتها. فهي لا تنسى أسمًا أو رقمًا. ولا تحتاج إلى تسجيل تاريخ أو موعد، وكانت فضلاً عن ذلك سريعة المخاطر، نشيطة، مطيبة.

وكان "أوتومورجنتال" - مدير عام البنك "مورجنتال" و"براون" و"شيبيرك" - يعلم جيداً أن خدمات "هيلين شيل" لا تقوم بمال. كان مرتبها ضخماً ولكنها كان على استعداد لأن يمنحها أية علاوة تطلبها. ولم تكن "هيلين شيل" تعرف كل صغيرة وكبيرة عن أعماله فحسب، وإنما كانت كذلك تعرف كل شيء عن حياته الخاصة. وقد استطاع رأيها في زوجته الثانية فتصحته بطلاقها.. بل وذكرت له بالتحديد المبلغ الذي سوف تقره المحكمة كنفقة لها. وفعلت ذلك دون أن تبدي شفقة أو فضولاً، ولم يدهش "مورجنتال"؛ فقد كان يعلم أنها نسيج وحدها، وأنها لا تعرف شيئاً عن الأحساس التي تعتمل في نفوس الناس، فهي مجرد عقل جبار يعمل لصالح البنك بصفة عامة، وصالحه هو شخصياً بصفة خاصة.

ولذلك دهش السيد "مورجنتال" أشد الدهشة حين قالت له "هيلين" وهو يهم بمغادرة المكتب، إنها تريد إجازة لمدة ثلاثة أسابيع اعتباراً من يوم الثلاثاء التالي.. ولم يجد بدأً من القول لها إنه يتذرع عليه إجابتها إلى ما تطلب، ولكنها أجبت في هدوء:

- لا أظن ذلك يا سيد "مورجنتال". إن آنسة "ويجات" ستحل محلني، وستأرك لها مذكري وأصدر إليها التعليمات الالزامية.  
- هل تطلبين الإجازة لأنك مريضة يا آنسة "شيل"؟ كان يعلم أنه سؤال سخيف.. فإن "هيلين شيل" لا يمكن أن تمرض.. إن الجراثيم نفسها تحترمها.. أجبت:

- كلا يا سيد "مورجنتال"، ولكنني أريد السفر إلى "لندن" لزيارة أختي. لم يكن يعرف أن لها اختاً، ولم تحدثه "هيلين" عن هذه الاخت حتى عندما رافقته إلى "لندن" في الخريف الماضي. أجبت وهي تبتسم:  
- نعم يا سيد "مورجنتال" .. وهي متزوجة برجل إنجليزي يعمل في المتحف

البريطاني ، وستجرى لها جراحة خطيرة ويجب أن تكون على مقرية منها . وأدرك الرجل من لهجتها أن لا شيء يمكن أن يثنىها عن رغبتها في الرحيل فقال :

ـ مadam الامر كذلك ، فليس في استطاعتي أن أستبقيك . وكل ما أرجوه هو أن تعودي بسرعة ، فالسوق المالية مضطربة إلى أقصى حد ؛ بسبب توثر العلاقات بين المعسكرين الشرقي والغربي ، حتى ليخشى أن تنشب الحرب في أية لحظة ، والواقع أنني أتصور أحياناً أن نشوب الحرب قد يكون هو الحال الوحيد .

ـ إن أعداء الناس تكاد تتمزق ، وها هم يقولون إن مؤتمر قمة سيعقد قريباً في "بغداد" .. لا يعلم الرئيس الأمريكي أنه قد يذهب ضحية اعتداء في "بغداد" ؟

ـ ستكون هناك حراسة قوية .. وإجراءات أمن مشددة .

ـ ومتى كانت إجراءات الأمن حائلاً دون اغتيال الساسة والزعماء ؟ إن سفر الرئيس الأمريكي إلى "بغداد" هو الجنون بعينه . ثم تنهى واستطرد قائلاً :

ـ صحيح ، إننا نعيش في عالم مجنون . مجنون .

## الفصل الثاني

جلست "فيكتوريا جونز" على أحد مقاعد حديقة "فيتز جيمس" في "لندن" ، وراحت تستعرض ذكرياتها وامتلاً قلبها حزناً . أحزنها بصفة خاصة أن تلمس نفسها مدى ما يمكن أن يتعرض له الإنسان من متابعة إذا حاول إبراز مواهبه في وقت غير مناسب . كان لـ "فيكتوريما" - كما لجميع الناس - فضائلها وعيوبها .. فمن فضائلها أنها طيبة القلب ، نشيطة في عملها ، شغوف بالغمارة ، وقد تكون هذه الخصلة الأخيرة فضيلة . ولكنها كذلك قد تكون عيباً ، خاصة إذا كانت الظروف تختتم على الإنسان الحكيم لا يجاذف بشيء محقق .. من أجل شيء مشكوك فيه . على أن أبرز عيوبها كان حبها للكذب . فهي تكذب بكل سهولة . سواء أفادت من الكذب أو لم تفده . فإذا حدث مثلاً أنها تأخرت عن موعد ، فإنها لا تقنع بأن تزعم أن ساعتها أصابها خلل ، أو أنها انتظرت الحافلة وقتاً

طويلاً دون جدوى، وإنما تختبر قصة تستطع فيها مع خيالها المخصب فتزعم مثلاً أن فيلاً هرب من السيرك وعطل حركة المرور. أو أن عصابة مسلحة هاجمت متجرًا تحت سمعها وبصرها، وأنها شخصياً قد لعبت دوراً بارزاً في مساعدة الشرطة على اعتقال أفراد العصابة. كانت فارعة الطول، مشوقة القوام، لها ساقان بديعتان وجه تتحرك عضلاته بسهولة مما يساعدها على محاكاة الآخرين وتقليلهم ببراعة عجيبة، وقد كانت هذه (الموهبة) علة متابعيها الحالية. كانت تعمل كاتبة اختزال في متجر "جرينهولز وسيمونز" بشارع "جرييهولم". وقد أرادت في صباح ذلك اليوم أن تسرى عن زملائها وزميلاتها في المكتب. فلم تجد أفضل من تقليل زوجة "جرينهولز" حين تأتى لزيارة زوجها في مكتبه.

وكانت "فيكتوريَا" تعلم أن السيد "جرينهولز" قد ذهب لمقابلة محامي، ولن يحضر قبل ساعة على الأقل. فانطلقت تحاكى زوجته، وتقلل حركاتها وصوتها، ولكنها الأجنبية التي لم تستطع التخلص منها على الرغم من طول إقامتها في "لندن". راحت تقول:

ـ الا تريد أن تبتاع لي تلك الاريكة؟ إن لدى السيدة "ديفتاكس" أريكة مثلها. لا تزعم أن ليست لديك نقود.. إنك تجد النقود بسهولة لكي ترافق تلك الشقراء إلى المطاعم والمسارح. هل تظن أنتي لا أعلم أنك تعود كل ليلة وعلى وجهك آثار أحمر الشفاه؟ إيني أتركك مع شقرايتك ولكنني أريد الاريكة. اتفقنا إذن.. ولا تنس معطف الفراء الذي حدثتك عنه؛ إنه ليس من الفراء الجيد على كل حال. ولكنك من حيث الثمن فرصة لا تعوض.

وعندما وصلت "فيكتوريَا" في محاكاة الزوجة إلى هذا الحد، لاحظت أن زملاءها لا يصغون إليها، وأنهم قد كفوا عن الضحك، وانصرفوا إلى العمل بهمة ونشاط.. فاستولى عليها القلق ونظرت حولها لتجد نفسها وجهاً لوجه أمام السيد "جرينهولز". كان الرجل يتاملها في صمت، فافتلت من فمها آهة خافتة، ولم تجد ما تقوله، أما الرجل فإنه مضى إلى مكتبه دون أن ينطق بكلمة. ودق الجرس على الفور، فأسرعت إليه والقلم والورق في يدها لكي تسجل تعليماته وسألته متظاهرة

بالبراءة:

- هل دعوتنى يا سيد "جرينهولز"؟ فوضع الرجل على مكتبه ثلاثة ورقات من فئة الجنية وقال:

- أظن يا بنىتي الجميلة أننى رأيت ما فيه الكفاية، وأنه ليس لديك مانع من تسلم أجر أسبوع والرحيل عنا دون إبطاء. وهمت "فيكتوريا" بأن تخترع قصة تبرر بها سلوكها، ولكن النظرة التي رأتها في عيني "جرينهولز" أقنعتها بعدم جدوى أية محاولة في هذا السبيل فعدلت عن محاولتها، وقالت له وهي تبتسم إنها تعتقد أنه على حق..

ودهش "جرينهولز". فإنه لم يرَ من قبل موظفًا يتلقى نبأ فصله بمثل هذه البساطة، وحاول أن يخفى دهشتة بالبحث في جيوبه عن بقية من نقود.. قال:

- لا أزال مدينا لك بتسعية بنسات. فأجابت بلطف:

- لا بأس يا سيد "جرينهولز" .. تقبلها هدية مني إليك.  
سوف أبعث بها إليك.

- لا ضرورة لذلك، إن ما يهمني هو الحصول على شهادة. فقطب "جرينهولز" حاجبيه وقال مردداً:  
شهادة؟

- نعم. فكتب "جرينهولز" بضعة سطور على ورقة تحمل اسم الشركة وقدمها إليها فقرأت فيها ما يلي:

«أشهد أن الآنسة "فيكتوريا جونز" عملت في مكتبي مدة شهرين بصفة كاتبة اختزال، وأنها لا تعرف الاختزال وتحمّل الكتابة، وقد فصلت من العمل؛ لأننا لا نستطيع الاحتفاظ بموظفة لا تؤدي أي عمل على الإطلاق. قرأت "فيكتوريا" هذه الكلمات وقلبت شفتها وقالت في هدوء:

- يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنْ خطابات التوصية تكتب بأسلوب غير هذا.

- ولكنني لم أقصد بهذه السطور أن تكون كتاب توصية.

- كان يجب على الأقل أن تقول إنني لست سكيرة، وإنني أمينة.. وهذه حقائق

كما تعلم، وجدنا لو أضفت كذلك أتنى أكتم الأسرار... .

- تكتمين الأسرار؟ فقابلت نظرته بجرأة، ولم يهتز لها هدب، وقالت بصوت رقيق:

- نعم.. أكتم الأسرار.. فتذكر "جرينهولز" الرسائل المختلفة التي سبق أن

أملاها على "فيكتوريا"، ورأى من الحكمة أن يرخص، فتناول الشهادة ومرقها  
وكتب شهادة أخرى قال فيها:

«أشهد أن الآنسة "فيكتوريا جونز" عملت عندي ككاتبة اختزال مدة شهرين،

وقد اضطررتنا ظروف العمل إلى ضغط عدد الموظفين والاستغناء عن خدماتها».

وقدم لها الشهادة وهو يقول:

- ما قولك في هذه الصيغة؟ فقرأت "فيكتوريا" الشهادة وهزت كتفيها،

وقالت:

- ليست رائعة... ولكنني ساقنع بها.



استعرضت "فيكتوريا" ظروف فصلها واقتنتع بأنها مؤسفة، ولكنها رفضت  
الاعتراف بأن فصلها كارثة. لقد تخلصت من "جرينهولز" وشركته، وهذا أمر له  
قيمة، ولكن ليس ثمة ما يوحى بأن العمل الجديد الذي سوف تحصل عليه، لن  
يكون أفضل من العمل مع "جرينهولز". حاولت أن تتناسى الموضوع، وأخرجت  
من حقيبتها شطيرتين كانت قد أعدتهما لغدائهما.. وما إن أتت عليهما حتى رأت  
شاباً يقترب منها ويجلس على الطرف الآخر للمقعد الخشبي الذي كانت تجلس  
عليه. نظرت إليه من ركن عينيها وووجدهه وسيماً.

كان أشقر الشعر، أزرق العينين، له فك بارز يدل على قوة الإرادة. ولم تكن  
"فيكتوريا" تضيق بحديث الغرباء الذين تلتقي بهم في الأماكن العامة. كانت  
تعلم أن في استطاعتها أن توقفهم عند حدهم عند الضرورة. وكانت ابتسامة رقيقة  
منها كافية لتشجيع الشاب على التحدث إليها. قال:

- طاب يومك يا آنسة.. إنه يوم جميل.. هل تأتين إلى هنا دائماً؟

- كل يوم تقريباً.
- هذه أول مرة أجيء فيها إلى هذه الحديقة.. حقيقةً إنني سيء الحظ.. هل هذا الذي تتناولينه هو طعام غدائك؟
- نعم.
- إذن دعيني أقل لك إنك لا تتناولين طعاماً كافياً.. ولو أنني حذرت حذرك لمت جوعاً.. ما قولك في أن تتناول الغداء في شارع "تونهام"؟ إنني أعرف هناك مطعماً صغيراً. ففقط عطته:
- لا، شكراً لك.. حسبي ما تناولت.. إنني لاأشعر بالجوع.. وكانت تتوقع أن يقول لها:
- إذن فلنتناول الطعام معاً في يوم آخر.. ولكنك لم يفعل، وإنما قال:
- أنا أدعى "إدوارد" .. وأنت؟
- "فيكتوريا".
- كاسم محطة "فيكتوريا"؟
- بل كاسم الملكة "فيكتوريا".
- واسم الأسرة؟
- "جونز".
- إذن اسمك "فيكتوريا جونز" . وكرر الاسم مرتين ثم قلب شفته وقال:
- الأسماء غير ملائيمين. فقالت "فيكتوريا" في حماسة:
- وهذارأيي أيضاً.. كنت أفضل أن يكون اسمي "جيني جونز" ، أو أن يكون اللقب مركباً مثل "ساكفيل ويست" .. "فيكتوريا ويست" .. أليس كذلك؟
- جريء لقباً آخر.. "بدفورد جونز" .. أو "كريسبروك جونز" .. أو "سان كلير جونز" ..
- وكان يمكن أن تستمر اللعبة أطول من ذلك لو لا أن الشاب نظر إلى ساعته وهتف قائلاً:
- يحب أن أذهب لمقابلة رئيسي المحبوب .. وأنت؟

- أنا عاطلة.. لقد فصلت من عملي اليوم. فقال الشاب بإخلاص:  
ـ أنا آسف ..

ـ أما أنا فغير آسفة.. أولاً: لأنني سرعان ما سأجد عملا، وثانياً: لأنني ضحكت  
كثيراً قبل أن أفصل.

وروت له قصة فصلها، وقلدت السيدة "جرينهولز"، فأغرق "إدوارد" في  
الضحك، ولما فرغت من قصتها قال لها إن مما يؤسف له أنها لم تشغله بالتمثيل.  
ورحبت "فيكتوريَا" بهذا الإطراء، ثم ذكرته بموعده مع رئيسه.. وحضرته من  
التاخير حتى لا يفقد وظيفته ويصبح عاطلاً مثلها، فقال:

ـ صدقت.. خصوصاً وأنني لن أجد عملاً آخر بسهولة مثلك.. ثم استطرد  
فائلاً بعد لحظة:

ـ جميل أن يعرف الإنسان الاختزال ويجيده..

ـ الواقع أنني لا أجيد الاختزال، ولكن من حسن الحظ أن كاتبات الاختزال،  
حتى الضعيفات منهن، يجدن دائماً عملاً بأجر لا يأس به.. وأنت ماذا تعمل?  
أراهن أنك اشتربت في الحرب، وأنك عملت في سلاح الطيران.

ـ هذا صحيح.

ـ هل كنت قائداً إحدى طائرات المطاردة؟

ـ تماماً، وقد وجدوا لي عملاً بعد الحرب، ولكنهم لم يكلفو أنفسهم عناء  
البحث عما إذا كنت أصلح لهذا العمل أم لا.. إن قيادة الطائرات لا تحتاج إلى  
ذكاء مفرط.. ولكنني الآن تائه بين الملفات والأرقام. وقد اكتشفت في النهاية أنني  
لا أكاد أصلح لشيء... ولكن دعينا من ذلك الآن... هل تسمحين لي..؟ واحمر  
وجهه. ولم يتم عبارته، ورأت "فيكتوريَا" في يده آلة تصوير لم تلاحظها من  
قبل. استطرد فائلاً:

ـ هل تسمحين لي بالتقاط صور لك؟ خصوصاً أنني سأرحل غداً إلى "بغداد"  
وقد.. فهتفت "فيكتوريَا" بمزيج من الدهشة وخيبة الأمل:  
ـ إلى "بغداد"؟!

- نعم .. وأنا الآن آسف لذلك. كنت صباح اليوم أكاد أطير فرحاً بهذه الرحلة ..  
كنت توافق إلى مغادرة "إنجلترا" في أسرع وقت .. ولذلك قبلت ما عرضوه عليًّا.  
- وماذا عرضوا عليك؟

- عرضوا عليًّا عملاً تافهاً لم أجده بدأً من قبولي .. ورئيسي في هذا العمل  
الدكتور "راتبون" ، رجل تحيط باسمه مجموعة من الألقاب الجامعية .. ولا هدف له  
في الحياة إلا نشر الثقافة .. فقد أنشأ مكتبات في بلاد لم يسمع عنها بعد . وترجم  
عن "شكسبير" و "ملتون" إلى اللغات العربية والتركية والفارسية والأرمنية ..  
صفوة القول إنه كرس حياته لنشر الثقافة الإنجليزية . فهو يؤدي تماماً نفس المهمة  
التي يضطلع بها المجلس البريطاني .  
- وماذا سيكون عملك معه بالضبط؟

- إنني أؤدي عمل السكرتير الخاص والوصيف ، فأجهز جوازات السفر ، وأحجز  
التذاكر ، وأتحقق من عدد الحقائب .. وأعتقد أنني سأؤدي في "بغداد" نفس  
العمل .. وظيفة تافهة .. أليس كذلك؟ وكان ذلك هو رأي "فيكتوريما" أيضاً  
فصمتت ولم تجب . وهزَّ "إدوارد" كتفيه وقال وهو يبتسم :

- لقد نسينا موضوع الصورة .. هل لديك مانع من أن التقط لك صورتين ..  
إحداهما جانبية .. والأخرى أمامية؟ لم يكن لديها مانع على الإطلاق ، فاعتدلت  
في جلستها والتقط "إدوارد" الصورتين ، وقال :

- مما يؤسف له حقاً أن أضطر إلى الرحيل بعد أن عرفتك .. كم أود أن أبقى ..  
ولكن ليس من اللائق أن أتخلى في آخر لحظة .. أليس كذلك؟

- نعم .. ثم إنك قد تجد العمل في "بغداد" أفضل مما تتوقع .. فهز رأسه وأجاب :

- لا أظن ذلك .. ثم إنه يخيل إليَّ أن العملية كلها مثيرة للريبة؟

- أحقاً تقول؟

- لا تسأليني عما يحملني على هذا الظن .. إنه شعور ، وسوف أدهش إذا  
وجدت أنني كنت مخطئاً ..

- ومن الذي يشير ريبتك؟ الدكتور "راتبون"؟

- كلا، كلا فهو رجل محترم وعضو في كثير من الجمعيات العلمية.. وعلى كل حال.. فإن الأمور سوف تتضح.. أظن أنني يجب أن أذهب الآن.. مما يؤسف له أنك لا تستطيعين مرافقتني.
- كنت أود ذلك من كل قلبي.
- وماذا ستفعلين الآن؟
- سأبحث عن عمل.. سأذهب الآن إلى مكتب "سان جيلدريك" بشارع "جوار".. فقد يرشدونني هناك إلى عمل مناسب.
- إلى اللقاء إذن..
- إلى اللقاء يا "إدوارد".." أرجو لك حظا سعيدا.
- أظن أنك لن تفكري فيـ..
- تخطئ، إذا ظنت ذلك.
- لكم تختلفين عمن عرفت من الفتيات! كنت أود لو أنني بقيت معك وقتاً أطول. وفي هذه اللحظة دقـت إحدى الساعات نصفا فصاخـ:
- يجب أن أذهب فعلاً.. وشيـعـته "فيكتوريـا" بـبـصـرـها حتى توارـي.. ثم نهضـتـ وغادرـتـ المـحـديـقـة.. وسـارـتـ فـيـ الطـرـيقـ إـلـىـ شـارـعـ "جوـارـ". كانت قد اتـخـذـتـ قـرـارـيـنـ: أـولـهـماـ: أـنـ تـقـتـرـنـ بـهـذـاـ الشـابـ الذـيـ أـحـبـتـهـ مـنـ أـوـلـ نـظـرـةـ، وـثـانـهـماـ: أـنـ تـخـاـوـلـ السـفـرـ إـلـىـ "بغـدادـ" لـلتـلـقـيـ بـهـ هـنـاكـ. ولـكـنـ كـيـفـ تـصلـ إـلـىـ "بغـدادـ"؟ـ هـذـهـ هـيـ الـمـشـكـلـةـ التـيـ يـتـعـيـنـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـجـدـ لهاـ حلـاـ..ـ وـلـمـ تـشـعـرـ بـالـيـأسـ، فـقـدـ كـانـتـ مـطـبـوـعـةـ عـلـىـ التـفـاؤـلـ وـالـجـرـأـةـ وـالـعـنـادـ.

### الفصل الثالث

استقبلـتـ "هـيلـينـ شـيلـ"ـ فـيـ فـنـدقـ "سـافـويـ"ـ استـقـبـالـ العـمـلـاءـ المعـرـوفـينـ، وـسـئـلـتـ عـنـ صـحـةـ السـيـدـ "مورـجيـتـالـ"ـ وـقـيلـ لـهـاـ إـنـ الـعـرـفـةـ التـيـ حـجـزـتـ لـهـاـ إـذـاـ لمـ تـعـجـبـهاـ فـمـاـ عـلـيـهـاـ إـلـاـ انـ تـقـولـ ذـلـكـ لـكـيـ يـعـدـواـ لـهـاـ غـرـفـةـ أـخـرـىـ.ـ كـانـتـ "هـيلـينـ شـيلـ"ـ فـيـ

نظر إدارة الفندق تمثل الدولارات الأمريكية التي كانت "بريطانيا" في أشد الحاجة إليها.

وتصعدت "هيلين" إلى غرفتها، واغتسلت واستبدلت ثيابها، واتصلت تليفونياً برقم في "كنسجتون"، ثم غادرت الفندق واستقلت سيارة أجرة انطلقت بها إلى محل "كارتييه" تاجر المجوهر المعروف في شارع "بوند".

وكان هناك عابر سبيل يتأمل المعروضات في أحد المتاجر منذ وقت طويل، فلما رأى "هيلين شيل" تغادر الفندق، ألقى نظرة إلى ساعته ثم أشار إلى سائق سيارة أجرة كان ينتظر على مقرية، فانطلق السائق بسيارته في أثر سيارة "هيلين شيل". توفرت السيارات أمام إشارة المرور عند مدخل ميدان "الطرف الأغر". وأشار سائق السيارة الثانية بيده خلسة إلى سيارة خاصة كانت تقف في شارع جانبي بمحاذاة إشارة المرور، فتحركت السيارة الخاصة، وسارت في أثر سيارتي الأجرة. وبعد أن اجتازت سيارة "هيلين شيل" ميدان "الطرف الأغر"، انحدرت يساراً في شارع "بول مول"، بينما انحرفت سيارة الأجرة الثانية نحو اليمين، وأفسحت الطريق للسيارة الخاصة لكي تتعقب "هيلين شيل". وكان في السيارة الخاصة شخصان، شاب أشقر أمام عجلة القيادة، وفتاة آنيقة تجلس بجواره. ومرت السيارة الخاصة بسرعة، وتجاوزت سيارة "هيلين شيل"، وتوقفت في شارع "بوند" لحظة قصيرة ريشما هبطت منها الفتاة. وأومأت الفتاة برأسها لقائد السيارة مودعة، ثم سارت على إفريز الشارع، ودخلت محل "كارتييه"، وبعد دقيقة أو دقيقتين، توقفت سيارة "هيلين شيل" أمام المحل. ونقدت "هيلين" السائق أجره، ودخلت محل الجوهرى وقضت بعض الوقت في انتقاء ما تريده، ووقع اختيارهاأخيراً على ألماسة جميلة وزمرة رائعة، دفعت ثمنهما بتحويل "شيخ" على أحد بنوك "لندن". وما إن وقع نظر البائع على التوقيع في ذيل التحويل، حتى أبرقت أسارير وجهه وقال:

ـ أهلاً بك يا آنسة "شيل" .. هل جاء السيد "مورجنتال" إلى "لندن"؟  
ـ كلا.

- إنني أسأل عنه؛ لأن لدينا - في الوقت الحاضر - مجموعة منقطعة النظير من أحجار الزمرد، وأنا أعلم مبلغ اهتمامه بهذا النوع من الأحجار الكريمة، هل يهمك أن تريها؟

- بغير شك. ورأت آنسة "شيل" أحجار الزمرد وأعجبت بها، ووعدت بأن تحدث السيد "مورجنتال" عنها.

أما الفتاة الأخرى التي سبقت "شيل" إلى المجر فإنها طلبت بعض الأقراط، ثم قالت للبائعة إنها ستفكر في الأمر، وانصرفت في أثر "شيل"، وتبعتها هي إلى متجر لبيع الأزهار حيث طلبت "هيلين" باقة من الورد الأحمر وأخرى من أزهار البنفسج. وأمرت بإرسالهما إلى عنوان ذكرته، ثم سالت عن الثمن فقالت البائعة:

- اثنا عشر جنيها، وثمانية عشر شلنًا. فدفعت "هيلين شيل" هذا المبلغ وانصرفت، وتبعتها الفتاة الأخرى التي قنعت بأن سالت عن ثمن باقة من أزهار الترجس. وانحدرت "هيلين شيل" في شارع "سافيل رو" ودخلت محل أحد كبار الخياطين، وعلى الرغم من تخصص هذا المحل في صنع ملابس الرجال إلا أنه يصنع "تايرات" السيدات بصفة خاصة للعميلات الممتازات.

ورحب بها صاحب المجر، واتفق معها على أن تكون التجربة الأولى بعد أسبوع، ومن ثم استقلت سيارة الأجرة إلى فندق "سافوبي" وتبعتها سيارة أجرة استقلها الشاب الأول الذي تعقبها بعد أن غادرت الفندق.. ولكنه غادر السيارة بعد قليل وقصد إلى الباب الخلفي الخاص بخدم الفندق، وهناك وجد امرأة في مقتبل العمر تسير جيئة وذهابا أمام الباب فسألها:

- هل فتشت الغرفة يا "هورتنس"؟

- نعم.. ولم أجد ما يستحق الذكر.

أما "هيلين شيل" فإنها تناولت غدائها في مطعم الفندق، ثم صعدت إلى غرفتها فوجدتها مرتبة منسقة. واتجه بصرها على الفور إلى حقيبتها. وتفقدت محتويات الأولى بسرعة، وكانت قد تركتها مفتوحة. ثم انتقلت إلى الثانية ففتحتها. كان يبدو كأن شيئا فيها لم يمس. مدّت يدها وتناولت حافظة أوراق كانت في الحقيبة.

ونشرت عليها مسحوقاً مما تستعمله في زينتها، ثم نفخت المسحوق وأمعنت النظر في غطاء الحافظة وابتسمت.

كانت قد أمسكت بالحافظة في الصباح ويدها لا تزال ملوثة بالدهون التي تستخدمنها في زينتها، وكان لابد أن يلتتصق المسحوق بالبصمات التي تركتها أصابعها الملوثة بالدهون على غطاء الحافظة. ولكنها لم ترَأثراً للبصمات. قالت:

ـ لقد قاموا بعملهم بمهارة حتى بصمات أصابعى قد أزيلت. وغادرت الغرفة والفندق، واستقلت سيارة أجرة ذهبت بها إلى شارع "إينسلسي". وأمام المنزل رقم 17، توقفت السيارة، وارتقت "هيلين" السلم إلى الطابق الأول وقرعت جرساً. وبعد قليل فتح الباب، وأطلت منه سيدة في الحلقة الرابعة من عمرها، نظرت إلى الرائدة بارتياح ثم تهلهل وجهها وهتفت قائلة:

ـ يا إلهي إن "إيلزا" ستسر حين ترك.. . كانت واثقة بأنك سوف تحضررين.. اتبعيني. وسارت "هيلين" في دهليز طويل انتهت بقاعة استقبال فخمة. وفي أحد مقاعد القاعة، كانت تجلس امرأة في مقتبل العمر، ما كادت ترى "هيلين" حتى وثبتت واقفة وهتفت:

ـ "هيلين"!

ـ "إيلزا"! وتعانقت المرأتان، وقالت "إيلزا":

ـ لقد تم إعداد كل شيء. وسوف أذهب مساء اليوم.. . وأرجو.. . فقاطعتها "هيلين" :

ـ اطمئني يا "إيلزا" .. أنا واثقة بأن كل شيء سينتهي بخير.



تناول الرجل قصير القامة - ذو المعطف الواقي من المطر - سماعة أحد التليفونات العامة وأدار رقمها وسأل:

ـ شركة "جراموفون فالهالا"؟

ـ نعم.

- هنا "ساندرز" ، إليك تقرير عن "هـ. ش" إنها وصلت من "نيويورك" صباح اليوم، وابتاعت المائة وزمرة من محل "كارتييه" بمبلغ مائة وعشرين جنيها. ثم ذهبت إلى "جين كينترت" بائعة الأزهار وابتاعت باقتين بمبلغ اثنى عشر جنيها وثمانية عشر شلنًا، وأمرت بإرسالهما إلى إحدى العيادات الطبية في ميدان "بورتلاند" ، وقصدت بعد ذلك إلى محل "بولفورد" صانع الثياب في "سافيل رو" .. حيث طلبت أن يصنعوا لها "تايريرا" . وليس ثمة ما يشير الريبة في الحالات التي ترددت عليها. ولكن هذه الحالات ستوضع تحت الرقابة .. وقد زرنا الغرفة التي تشغلهما "هـ. ش" في فندق "سافوي" .

لا شيء غير عادي. وجدت في حافظة أوراق بحقيقتها تقارير خاصة بشركة "ولفنشتاين" ليس بينهم ما يهم .. كما وجدت آلة تصوير فيها فيلم يبدو أنه جديد لم يستخدم. ولكننا على كل حال قد استبدلناه بفيلم مماثل.

بعد ذلك ذهبت "هـ. ش" لزيارة اختها في المنزل رقم 17 بشارع "إينسللي" .. وستنتقل اختها هذا المساء إلى عيادة طبية في ميدان "بورتلاند" حيث تجري لها جراحة. سجلات العيادة الطبية تؤكد ذلك .. ليس في سلوك "هـ. ش" ما يريب .. إنها لم تشعر بأن هناك من يتبعها .. وإذا كانت قد شعرت فإنها لم تبد اهتمامًا. من المختتم أن تقضي هذه الليلة في العيادة .. وقد حجزت مكانا في الطائرة للعودة إلى "نيويورك" يوم 23. وكف الرجل قصير القامة عن الكلام لحظة ثم استطرد قائلاً :

- والرأي عندي أننا نضيع وقتنا سدى .. وأن ما يلاحظ على "هـ. ش" هو أنها تنفق النقود بغير حساب.

## الفصل الرابع

من الإنصاف لـ"فيكتوريا جونز" أن نقول: إنها لم تفكر لحظة واحدة في إمكان فشلها. كانت واثقة بأنها ستصل إلى هدفها إن عاجلاً أو آجلاً .. صحيح، إن من

سوء الحظ أن الشاب الذي أحبته من أول نظرة قد رحل إلى بلد يبعد حوالي خمسة آلاف كيلو متر في حين كان يمكن أن يظل في "لندن" ، أو أن يرحل إلى مكان قريب مثل "بروكسل" . إلا أن ذلك لن يغير من الأمر شيئاً؛ لأنها صممت على أن تتحقق به حيشما يكون مهما يكلفها الأمر.

راحت تفكّر في هدوء وهي تسير بخطى بطئ في شارع "تونهام" : «بغداد»؟ ماذا ستفعل في "بغداد"؟ لقد تحدث "إدوارد" عن علاقات ثقافية. ولكن العلاقات الثقافية مهمة منظمة "اليونسكو" ، وهذه المنظمة لا تستخدم غير الفتىّات المحاصلات على مؤهلات جامعية» إذن يجب أن تبحث عن وسيلة أخرى، ورأيَت أن تعمل بنظام. فذهبت أولاً إلى إحدى شركات السياحة. وهناك علمت أن ليس ثمة آلية صعوبة في الوصول إلى "بغداد" ، وأنها تستطيع السفر بالطائرة أو عن طريق البحر إلى ميناء "البصرة" ، أو أن تستقل القطار إلى "مرسيليا" ، ثم الباخرة إلى "بيروت" على أن تستأنف الرحلة بعد ذلك بالسيارة. ولكنها وجدت من الأنسب أن تساور بالطائرة؛ للتخلص من متاعب الحصول على التأشيرات، ولما كانت "بغداد" تقع في منطقة "الإسترليني" فلن تكون هناك صعوبات نقدية. ولكن المهم هو أن الرحلة – سواء بالطائرة أو سواها – كانت تتكلف بين 60 و100 جنيه نقداً، وذلك ما أزعج "فيكتوريا"؛ لأنها لم تكن تملك في تلك اللحظة سوى ثلاثة جنيهات و12 شلن.. عدا خمسة جنيهات في صندوق توفير البريد. ومررت في طريقها بإحدى شركات الطيران. وسألت عما إذا كانت الشركة في حاجة إلى مضيقات، وكان الجواب أن الوظائف مشغولة، وأن لدى الشركة مئات من طلبات الاستخدام، وقد تمضي بضعة أشهر قبل أن تطلب الشركة أصحابها لاختبارهم. وقصدت "فيكتوريا" إلى مكتب التخديم الذي تعودت التعامل معه، وهو مكتب "سان جيلدريلك" ، فاستقبلتها آنسة "سبنسر" صاحبة المكتب بالابتسامة المرحة التي تدخرها للفتىّات اللائي يكثرن من التردد عليها. وهتفت قائلة: – أهذه أنت يا آنسة "جونز"؟ كنت أظن أن الوظيفة التي أحققت بها أخيراً

قد ..

- إنني تركتها..  
- أحقاً إذن دعينا منها.  
- هل لديك عمل لي؟ فراحت آنسة "سبنسر" تبحث في دفاترها.. قالت "فيكتوريا":  
- أريد عملاً في "بغداد".  
- في "بغداد"؟! ونظرت إليها آنسة "سبنسر" في دهشة فقالت "فيكتوريا":  
- نعم. أريد الذهاب إلى "بغداد".  
- في وظيفة سكرتيرة؟  
- إن وجدت. ولكن لا مانع لدى في أن أذهب كممرضة، أو طاهية، أو مربية أطفال. المهم أن أذهب إلى "بغداد". فهزت آنسة "سبنسر" رأسها وقالت:  
- لا أعتقد أن ثمة أملاً.. بالأمس طلبت إلى إحدى السيدات فتاة ترافق ابنتها إلى "أستراليا".  
- كلاً.. أريد "بغداد". بحسبى أن أصل إليها. ورأت في عيني آنسة "سبنسر" نظرة تساؤل فاستطردت قائلة:  
- إن لي هناك أصدقاء، يستطيعون أن يهيئة لي عملاً بأجر كبير.. وعندما غادرت المكتب. ابتعات إحدى الجرائد وتصفحتها وخليل إليها أن كل كلمة فيها تتحدث عن "بغداد" فالأستاذ "بونسفوت جونز" - عالم الآثار المشهور - يقوم ببعض الحفريات في منطقة "موريك" الأثرية على بعد ثلاثين كيلومتراً من "بغداد"، وثمة لوحة إعلانية تقول إنه يمكن الوصول إلى "بغداد" عن طريق البحر إلى "البصرة"، ثم بالقطار إلى "بغداد" و"الموصل"، وثمة إعلان سينمائى عن فيلم "لص بغداد"، ونقد أدبي لكتاب ظهر حديثاً بعنوان «هارون الرشيد» خليفة "بغداد". وخليل إلى "فيكتوريا" أن الدنيا كلها تتحدث عن "بغداد" التي لم تشر اهتماماً إلا منذ الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم. وأحسست بأنها لن تستطيع الوصول إلى "بغداد" بسهولة ولكنها مع ذلك لم تفقد الأمل.  
وفي المساء، قبيل أن تذهب إلى فراشها، سجلت الأبواب التي يجب أن تطرقها

للحصول على عمل في "بغداد" على النحو التالي: نشر إعلان في الصحف عن طلب وظيفة في "بغداد"، وزارة الخارجية، سفارة "العراق"، الشركات التي تستورد التمر العراقي، شركات الملاحة. وكانت تتوقع الفشل، فسجلت التساؤل التالي: «كيف يمكن الحصول على مائة جنيه؟»



استيقظت "فيكتوريا جونز" في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي، وارتدت ثيابها على عجل، وعندما همت بتصحيف شعرها. دق جرس التليفون، فتناولت السمعاء. كان المتحدث آنسة "سبنسر". وكان صوتها يدل على الانفعال. هفت قائلة:

– يا إلهي ! كم أنا سعيدة بأنني وجدتك. لقد حدثت مصادفة عجيبة حقاً.  
– مصادفة؟!

– نعم . فإن سيدة تدعى سيدة "هاملتون كلير" تعزم السفر إلى "بغداد" بعد ثلاثة أيام، وقد أصيبت بكسر في ذراعها، وهي في حاجة إلى فتاة ترافقها في رحلتها. ولكنني لا أعلم ما إذا كانت قد اتصلت بمحامي تخدم آخر .  
– سأذهب إليها على الفور. أين تقim ؟  
– في فندق "سافوبي".  
– تقولين إن اسمها السيدة "ترليب" ؟

– كلا. سيدة "هاملتون كلير". إن زوجها هو الذي اتصل بي .  
– أنت جوهرة .. سأذهب إليها في الحال .. وارتدت خير ما عندها من ثياب، وأعادت تصحيف شعرها لكي تبدو جادة رصينة .. وقبل أن تنصرف أعادت قراءة الشهادة التي كتبها لها السيد "جرينهولز" وهرت كتفيها .. واستقلت "فيكتوريا جونز" الحافلة إلى "جرين بارك" وحانث منها التفاتة إلى جريدة في يد راكبة تجلس بجوارها، وتحت نبأ مفاده أن السيدة "كاينثيا برادبوري" أبحرت في اليوم السابق إلى "غرب إفريقيا" .. فسجلت النبأ في ذهنها، وغادرت الحافلة، وقصدت

إلى فندق "ريتز". وهناك، في صالة الفندق، وعلى ورقة تحمل اسمه، كتبت شهادة أشادت فيها بأخلاق "فيكتوريا جونز" وعملها، وقعتها باسم السيدة "كايتشيا" ..

وبعد بعض دقائق، انطلقت إلى فندق "بالدروتون" وهو مكان يختلف إليه كبار رجال الكنيسة والأرامل المسنات القادمات من الأقاليم، وهناك وعلى ورقة تحمل اسم الفندق، وبخط رصين يختلف تماماً عن خط السيدة "كايتشيا"، كتبت شهادة أخرى أطرت فيها سلوك "فيكتوريا جونز" ونسبتها إلى أسقف "لانجو" ..

وتسلحت "فيكتوريا" بهاتين الشهادتين، واستقلت حافلة أخرى أوصلتها على مقربة من فندق "سافوي" .. ودخلت الفندق بقدم ثابتة.. وطلبت إلى موظف الاستقبال أن يوصلها تليفونياً بالسيدة "هاملتون كلير". وهم الموظف بإيجابتها إلى ما طلبت، ثم عاد ووضع السماعة وهو يقول:  
— هو ذا سيد "هاملتون كلير" يغادر المصعد ..



كان "هاملتون كلير" رجلاً طویل القامة، أمريكي المظهر، تنم قسمات وجهه عن الدعة وسعة الصدر، فاقربت منه وذكرت له اسمها، وقالت إنها قادمة من لدى مكتب تخدم "سان جيلدريلك". فقال:

— حسناً يا آنسة "جونز" .. إن السيدة "كلير" في غرفتها وسأرافقك الآن إليها. ولكنني أعتقد أن فتاة أخرى قد جاءت لمقابلتها لنفس الغرض .. أصفر وجه "فيكتوريا". وأحسست بالدانيا تدور من حولها .. ترى هل ستفشل الآن بعد إذ أصبحت من هدفها قاب قوسين أو أدنى؟؟ ورافقتها "هاملتون كلير" إلى الطابق الثالث. وسار معها في دهليز طویل .. وفجأة أحسست أنها في حلم لا في يقظة .. فقد وقع بصرها على فتاة مقبلة نحوهما خُلِّيَ إليها للحظة قصيرة، أنها تشبهها كل الشبه .. ربما؛ لأن الفتاة كانت ترتدي "تابيرًا" أنيقاً إلى أقصى حد، طلماً تمنت هي أن يكون لديها مثيله. ومرت بهما الفتاة .. ويبدو أن السيد "هاملتون كلير"

قد عرفها حالما مرت به؛ لأنه ما لبث أن أدار وجهه في أثرها وغمغم قائلًا:

– هيلين شيل ! يا إلهي ! من كان يظن أنني سأقابلها هنا.. ثم تحول إلى "فيكتوريا" وقال:

– معدرة يا آنسة.. فقد أدهشني أن أجد هنا في "لندن" هذه الفتاة التي قابلتها في "نيويورك" منذ أقل من أسبوع.. إنها سكرتيرة أحد كبار الماليين الدوليين. وتوقف "هاملتون كلير" أمام باب وطرقه.. ثم فتحه ودخل قبل أن يلقى جواباً.. ووقف جانباً ليسمح لـ"فيكتوريا" بالدخول.. وكانت زوجته تجلس في مقعد كبير بالقرب من النافذة فنهضت لاستقبالهما. كانت قصيرة القامة، ضيقة العينين، وقد عصبت ذراعها وشدته إلى عنقها.. وقدم السيد "هاملتون" الفتاة إلى زوجته فقالت هذه الأخيرة:

– أليس من سوء الحظ أن يحدث لي ما حدث يا آنسة "جونز" ؟؟ كنت في طريقي إلى "العراق" لزيارة ابنتي المتزوجة هناك والتي لم أرها منذ عامين، ثم خطر لي أن أشهد معالم "لندن" قبل الرحيل إلى "بغداد" . وبينما كنت أشاهد دير "وستمنستر" ، زلت قدامي فكسرت ذراعي.. إنني لا أتألم كثيراً. ولكنني أشعر بعجزي عن السفر، خصوصاً وأن أعمال زوجي ستضطره إلى البقاء في "لندن" ثلاثة أسابيع قبل أن يلحق بي. وقد خطر لي أن أستخدم مرضية ترافقني في رعاية ابنتي وزوجها.. ولكنني عدت ففكرت في أنني إذا جئت إلى مكاتب التخديم فلن أجد فتاة ترضى بمرافقتي لقاء أجر الرحلة.

فقالت "فيكتوريا" في تواضع: إنها لا تستطيع أن تعد نفسها مرضية بالمعنى المفهوم. على الرغم من أنها قامت بتمريض السيدة "كاينثيا برادبورى" طوال عام بأسره. وقدمت الشهادة التي تحمل توقيع السيدة واستطردت قائلة:

– أما أعمال السكرتارية فإنني أجدها كل الإجاده وقد مارستها مع عمي أسفف "لانجو" .

قالت ذلك في تواضع، وقدمت شهادة الأسقف. فقالت السيدة "كلير" وهي تدفع بالشهادتين إلى زوجها:

- لا شك في أن العناية الإلهية قد أرسلتك إليَّ يا بنتي العزيزة ..

فابتسمت "فيكتوريا" في حياء واستطردت السيدة "كليب" قائلة:

- هل تعرفين أحداً في "بغداد" يا آنسة "جونز"؟ أو هل توجد في انتظارك وظيفة هناك؟

وبوغشت "فيكتوريا" بهذا السؤال.. فلم تكن قد فكرت في شيء آخر غير الشهادات... فلم يخطر لها ببال أن تسأله عن سبب رغبتها في السفر إلى "بغداد". وجاء جوابها ذكرياً، وجريئاً، وقائماً على نبأ قرأته في إحدى الصحف في اليوم السابق.. قالت:

- الواقع، إنني أريد اللحاق بعمي الدكتور "بونسفوت جونز" ..

- عالم الآثار؟

- نعم.. وأدركت بعد فوات الوقت أنها نسبت نفسها إلى كثير من الأعماام المشهورين، ولكن لم يكن في وسعها أن تتراجع.. قالت:

- إنني شديدة الاهتمام بعمله.. ولم استطع الانضمام إلى بعثته؛ بسبب قلة الاعتمادات المالية. فقال السيد "هاملتون":

- مما لا شك فيه أن أرض الجزيرة غنية بالآثار التي تثير اهتمام العلماء وفضولهم. فالتفتت "فيكتوريا" إلى الزوجة وقالت:

- أخشى أن يكون عمي الأسقف قد سافر إلى "اسكتلندا"، ولكنني يمكنني الاتصال بسكرتيرته في رقم 97693 للحصول على كافة الاستعلامات بشأني.

- أظن أنني.. فقاطعها زوجها قائلاً:

- إن الوقت ضيق.. وستقلع الطائرة بعد غد.. هل لديك جواز سفر يا آنسة؟

- نعم. وقد أحضرته معي..

- هذا حسن.. هذا حسن.. إنني أحب الأشخاص العاملين.. سوف تحتاجين إلى بعض التأشيرات. وأعتقد أن صديقي "برجسون" الموظف بشركة "أمريكان إكسبريس" يستطيع إنجاز هذه المهمة. ولكن يجب أن تكثفي معنا هنا فقد يحتاج "برجسون" إلى توقيعك. فوعدت "فيكتوريا" بالعودة في الساعة الرابعة.

وانطلقت بسرعة إلى شقتها، وجلست أمام آلة التليفون واستعدت لمحاكاة صوت سكرتيرة الأسقف فيما لو خطر للسيدة "كليب" أن تستفسر عن الفتاة التي استخدمتها.. ولكن السيدة "كليب" لم تتصل. وفي مساء ذلك اليوم، كانت أوراق "فيكتوريَا جونز" قد استكملت تماماً.. وقضت الفتاة ليلتها الأخيرة في "لندن" في فندق "سافوِي"؛ لكي تعاون السيدة "كليب" في حزم أمتعتها للرحيل في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي ..

## الفصل الخامس

كان التيار قوياً، فلم يجد "عبد الله سليمان" - الشیخ الذي قضى الأعوام العشرة الأخيرة في نقل المسافرين بقاربہ عبر "شط العرب" إلى "البصرة" - ما يصنعه سوى أن يترك القارب للتيار، ويسبل أهدابه، ويترنم بإحدى الأغاني بصوته الهادئ الحزين. وكان القارب خالياً إلا من راكب واحد يرتدي جلباباً طويلاً، وـ"سترة" صفراء ممزقة، ويضع حول عنقه شملة "كوفية" حمراء.. وقد أخذ هذا الراكب ينظر إلى الماء دون أن يراه. ويهمس بنفس الأغنية التي يترنم بها الشیخ.. كان وجهه يشبه وجوه كثيرين من يعيشون بين "دجلة" وـ"الفرات". بحيث يستحيل على من ينظر إليه أن يتصور أنه إنجليزي لحمًا ودمًا، وأنه يطروي صدره على سر خطير قد يكلفه حياته..

كان ينظر إلى الماء ولا يراه، لأنه كان مستغرقاً في التفكير. راح يستعرض الماضي القريب، ويفكر في الكمائن التي نصب لها في الجبل، والأيام الأربعية التي قضتها هائماً على وجهه في الصحراء، والليالي التي قضتها في الخيام. كان ينظر إلى الماء ولا يراه، لأنه كان مستغرقاً في التفكير في أصدقائه القدامى، رجال قبيلة "العنایر" .. والأعداء الذين يترصدونه ليتحولوا بينه وبين أداء مهمته.

لقد خُلِّيَ إليه، أن كل إنسان صادفه في رحلته يعلم كل شيء عنه، ويعرف أنه "هنري كارمايكل" العميل البريطاني الذي يتكلّم العربية والكردية والفارسية

والأرمنية والهندية والتركية، ويجيد لهجات سكان الجبال، وله أصدقاء في جميع القبائل..

\*\*\*\*\*

كان رؤساؤه قد تركوا له حرية العمل، فاختار من الطرق ما يكفل له أكبر قدر من الطمأنينة والسلامة.. وحرص على كتمان خطته للوصول إلى "بغداد" خصوصاً، بعد أن تخلفت الطائرة التي كان مقرراً أن توافيه في مكان متفق عليه، مما أقنعه بأن أدق الأسرار يمكن أن تتسرب بطريقة غامضة تشير到 الريبة في رؤسائه أنفسهم.

قال له البحار الشيخ:

— لقد اقتربنا يابني.. كان الله معك..

— عد على الفور يا أبااته.. فلست أريد أن يصيبك مكروه.

— «لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا».. إن حياتي بين يدي الله.

وانحرف البحار الشيخ بقاربه.. وسار به متمهلاً حتى بلغ ضفة النهر.. وهناك قال:

— لقد وصلنا. وفقك الله وأطال بقاءك.

\*\*\*\*\*

ووثب "كارمايكيل" إلى الضفة.. وسرعان ما وجد نفسه في جو مألف. وسط صبية يبيعون مختلف أنواع الفاكهة والحلوى، ورجال يروحون ويغدون في غير عجلة. وفي الجانب الآخر من الشارع.. حيث الحوانيت والبنوك، كان عدد كبير من الأوروبيين، أكثرهم من الإنجليز، يشقون طريقهم وسط عدد أكبر من الوطنيين. وسار "كارمايكيل" ببطء دون أن ينظر يمنة أو يسراً، كمن لا يعنيه شيء مما يقع تحت بصره. فعبر الجسر، ومشى في السوق، حيث الزحام والضوضاء.. وحيث يتدافع الناس ليشقوا لأنفسهم طريقاً. وعلى الرغم من ثقته بأن أحداً في هذا الزحام لا يشعر بوجوده أو يقيمه له وزناً. فقد أحس عن يقين بأن هناك خطراً يحوم حوله. لم يعرف لهذا الإحساس مصدرأ أو سبباً، كان مطمئناً إلى أنه ليس هناك من

يتعقبه أو يراقبه. ومع ذلك فقد أحس بالخطر. أحس به بغير زته التي قلما تخطئ.. انحدر في طريق جانبي ضيق.. ثم انحرف يساراً، ووجد نفسه في فناء واسع تحف به حوانين تتبع مختلف البضائع. ووقف أمام حانوت للفراء والأدوات الجلدية.. وكان صاحب الحانوت في تلك اللحظة يقدم القهوة لأحد زبائنه، وهو شيخ مهيب الطلة، له لحية بيضاء، وعلى رأسه طربوش تحيط به عمامات خضراء.. وأشار "كارمايكيل" إلى أحد الفراءات وسأله التاجر:

— بكم هذا؟

— بسبعة دنانير..

— هذا ثمن باهظ. وقال الشيخ ذو اللحية البيضاء محدثاً التاجر:

— هل ستبعد إلى السجاجيد اليوم؟

— بغير شك.. هل سترحل غداً؟

— نعم. سأذهب إلى "كربلاء". فقال "كارمايكيل":

— "كربلاء"؟ إنها مسقط رأسي، ولكنني لم أرها، ولم أزر قبر "الحسين" منذ خمسة عشر عاماً. فقال التاجر:

— إذا كنت تريد فراء رخيص الثمن فعندي ضالتك.

— أريد فراء أبيض.. وأشار إلى باب في آخر الحانوت يؤدي إلى الخزن.

كان هذا الحديث عادياً ومالوفاً في السوق كل يوم، ولكنه تضمن كلمتي السر المتفق عليهما "كربلاء" و"الفراء الأبيض" .. ورافق التاجر عميله إلى الخزن.. وهناك نظر "كارمايكيل" إلى وجه التاجر لأول مرة. واكتشف أنه ليس الوجه الذي كان يتوقع أن يراه.. كان يشبهه إلى درجة مذلة.. ولكنه ليس هو. سأله في دهشة:

— إذن أين "صلاح حسن"؟

— لقد توفي أخي المسكين منذ ثلاثة أشهر.. وأنا الذي حللت محله.. كان الشبه بين الأخرين واضحًا، وإذا كان أحدهما قد عمل في خدمة المخابرات البريطانية فليس ثمة ما يمنع الآخر أن يحذو حذوه.. على أن هذا الاحتمال لم يمنع "كارمايكيل" من الأخذ بأسباب الخدر.. وكان الخزن ضيقاً والإضاءة به ضعيفة،

والبضائع مبعثرة فيه بغير نظام. ورأى "كارمايكل" في وسط المخزن مائدة صغيرة عليها فراء أبيض، فرفع الفراء ووجد تحته بغيته، ثوباً أوربياً جيد الصنع، في أحد جيوبه نقود وأوراق.. فتنفس الصعداء.. لقد دخل المتجر كعربي مجهول، ولكنه سيغادره بعد دقائق بصفته الجديدة كالسيد "ولتر ويليامز" مثل شركة "كروس" وشركاه، وكلاء شركات الملاحة، وأصحاب مكتب للاستيراد والتصدير. والسيد "ولتر ويليامز" موجود فعلاً، وهو من رجال الأعمال المعروفين في المدينة..

ومرة أخرى، تنهد "كارمايكل" بارتياح وراح يفحص الثوب الذي أعد له، ولو فكر أعداؤه في استخدام المسدس للتخلص منه، لأنصبح في عداد الاموات في تلك اللحظة بالذات.. ولكن من حسن حظه أنهم آثروا استخدام الخنجر، ربما لأنه لا يحدث صوتاً كالمسدس.. كان خنجرًا ذا نصل طويل مقوس. في يد شخص توارى خلف الثياب المكدسة في المخزن. ولم يرَ "كارمايكل" الخنجر أو الشخص.. ولكنه رأى بريق النصل منعسكاً على آنية نحاسية لامعة موضوعة في أحد الأركان، ولو تريث لحظة لغاص النصل بين كتفيه، ولكنه استدار بسرعة البرق وأمسك بيد الرجل وألقاه أرضاً، فانفلت الخنجر من قبضة يده وطار بعيداً.

ولم يحفل "كارمايكل" بخصمه، وإنما أطلق ساقيه للريح وغادر المتجر مسرعاً، ولم يتند في مشيته إلا عندما وجد نفسه بين المارة في السوق. توقف مرة أو مرتين ليفحص قطعة من القماش، أو بعض أدوات القهوة... ولكن ذهنه كان يعمل بسرعة.. ولقد وجد نفسه مرة أخرى، وحيداً وسط أعداء لا حصر لهم، يستطعون أن ينالوه حتى في اللحظة التي يتواهم فيها أنه أصبح في مأمن من الأخطار.. ترى هل استطاع العملاء الأجانب التسلل إلى صفوف المخابرات البريطانية لكي تكشف كل تحركاته وسكناته على هذا النحو المذهل؟ ولكن ذلك لا يهم الآن.. المهم هو أنه الآن وحيد، صفر اليدين، وليس لديه أية وسيلة للتنكر وإخفاء شخصيته.. ولم ينظر وراءه. إذ ما الفائدة؟ إن الذين يتعقبونه ليسوا سذجاً.. وسار في غير هدى.. إلى أن وجد نفسه أخيراً خارج منطقة السوق، فعبر الجسر، وسار في الشارع المؤدي إلى القنصلية البريطانية.. وكان من اليسيير عليه أن

يتسلل إلى مبني القنصلية ولكنها تردد.. إن الفئران لا تجد صعوبة في دخول المصيدة ولكنها لا تعرف المصير الذي ينتظرها بعد الدخول.. كانت مخاطرة لا مفر منها.. فليس أمامه سبيل آخر.

## الفصل السادس

قبع "ريتشارد بيكر" في قاعة الانتظار في القنصلية ريشما يفرغ القنصل لمقابلته.. كانت الباخرة التي استقلها إلى "البصرة" قد وصلت في الموعد المقرر خلافاً لما توقع.. وكانت النتيجة أنه وجد أمامه فترة فراغ تربو على ثمان وأربعين ساعة قبل أن يتمكن منمواصلة رحلته عن طريق "بغداد" إلى "التل الأسود" .. مقر الحفريات التي يعمل فيها مع الدكتور "بونسفوت جونز" .. ولكنـه كان يعرف كيف يستطيع قضاء هذه الشهريـان والأربعين ساعة..

كانت توجد في الجانب الآخر، بالقرب من "الكويت" منطقة يقال إنـها كانت مركزـاً للحضارة القديمة. فقرر أن يقوم برحلة سريعة إليها، للبحث والدراسة. واستفسر في المطار عن أسرع السـبل للوصول إلى "الكويـت" ، فـقيل له إن طائرة ستـقلـع إلى "الـكويـت" في الساعة العاشرة صباحـاً، وإنـه يستـطـيع العـودـة بـهـا فيـ اليوم التـالـي.. ولكنـ لـابـدـ لـذـلـكـ منـ الحصولـ عـلـىـ تـأشـيـرـةـ دـخـولـ منـ القـنـصـلـيـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ. وـتـذـكـرـ "بيـكـرـ"ـ أـنـ سـبـقـ أـنـ اـجـتـمـعـ فـيـ "الـبـصـرـةـ"ـ بـالـسـيـدـ "ـكـلـاـيـتـونـ"ـ الـذـيـ يـشـغلـ الآـنـ مـنـصـبـ القـنـصـلـ الـعـامـ فـيـ "ـبـصـرـةـ"ـ، فـقـرـرـ أـنـ يـقـابـلـهـ. وـأـرـسـلـ إـلـيـهـ بـطاـقـتـهـ، وجـاءـهـ الخـادـمـ لـيـبـيـهـ بـاـنـ السـيـدـ "ـكـلـاـيـتـونـ"ـ مـشـغـولـ.. وـلـكـنـهـ سـيـسـتـقـبـلـهـ بـعـدـ بـضـعـ دقـائـقـ. وـقـادـهـ إـلـىـ قـاعـةـ لـلـانتـظـارـ تـطـلـ عـلـىـ حـدـيقـةـ مـترـامـيـةـ الـأـطـرافـ.

وـكـانـ فـيـ قـاعـةـ عـدـةـ أـشـخـاصـ يـنـتـظـرـونـ مـقـابـلـةـ القـنـصـلـ الـعـامـ، أـلـقـىـ عـلـيـهـ "ـبـيـكـرـ"ـ نـظـرـةـ سـرـيـعـةـ.. ثـمـ رـاحـ يـتأـمـلـهـ وـاحـدـاـ بـعـدـ الـآـخـرـ.

كـانـ بـيـنـهـ رـجـلـ عـرـبـيـ يـرـتـديـ جـلـبـابـاـ، وـسـتـرـةـ صـفـراءـ، وـشـمـلـةـ حـمـرـاءـ وـعـقـالـاـ.. وـفـيـ يـدـهـ مـسـبـحـةـ يـحـرـكـ حـبـاتـهـ بـأـصـابـعـهـ. وـرـجـلـ إـنـجـليـزـيـ بـدـيـنـ، أـبـيـضـ شـعـرـ الرـأسـ

والشاربين يسجل أرقاما على ورقة في يده. ويبدو أنه يعمل مندوبا تجاريا. ورجل أسمр البشرة. تبدو عليه مظاهر التعب. ولعله كان سعيدا إذ وجد أخيرا مقعدا وثيرا يجلس عليه. ثم رجل إيراني، يرتدي ثوبا ناصعا البياض.. وقد ظل العربي طوال الوقت يحرك حبات المساحة حبة بعد أخرى. وفجأة أحس "بيكر" بأن صوت ارتطام كل حبة والتي سبقتها يذكره بشيء: شرطة.. نقطة.. شرطة.. نقطة. إنها شفرة "مورس" التي تستخدم في إرسال البرقيات.. وقد تعلمها واستخدمها حين كان يعمل في الجيش إبان الحرب.. وأرهف أذنيه.. وراح يترجم الصوت إلى حروف. ويؤلف من الحروف كلمات. فحصل على كلمتي: "البومة- أيتون". "البومة". إنه الاسم الذي كان يطلق عليه في كلية "أيتون"؛ لأنه كان يضع على عينيه نظارة ضخمة ذات إطار كبير. ونظر جيدا إلى العربي.. وجد أنه لا يختلف عن عشرات العرب الذين يقابلهم الإنسان في السوق. وكانت عيناه تنظران بعيدا. وليس في نظراته ما يوحى بأنه يعرفه.. واستمرت حبات المساحة في نظراتها المنتظمة.. وترجم "بيكر" النقرات كما يلي: «أنا الفقير.. إنني أعتمد عليك».. وحار "بيكر" في الأمر.. الفقير؟ أي فقير؟ آه بالتأكيد.. الفقير "كارمايكيل". لقد أطلق عليه زملاؤه في الكلية هذا الاسم؛ لأنه ولد وعاش في منطقة نائية لعلها "تركمستان" أو "أفغانستان"، أو "الهند" حيث توجد طائفة الفقراء. وأخرج "بيكر" غليونه من جيشه، ونظر فيه، ثم راح يدق عليه بإصبعه؛ كأنما ليزيل منه بقايا التبغ..

وكان معنى هذه الدقات: «تسلمت رسالتك».

وكانت الأحداث التي وقعت بعد ذلك سريعة مذهلة.. إلى حد أن "ريتشارد بيكر" لم يستطع فيما بعد أن يذكر تفصيلاتها تماما. فقد نهض العربي من مكانه.. ومشى نحو الباب.. ولما أصبح أمام "بيكر" زلت قدمه، فاستند إلى هذا الأخير ليمنع نفسه من السقوط. ونطق بكلمة اعتذار وواصل سيره..

وفي ذات اللحظة، ترك الإنجليزي البدين أوراقه، ودس يده في أحد جيوبه الداخلية بحركة سريعة لا تتفق مع بدانته، وأخرج مسدسا.. وبأسرع من لمح

البصر، انقض عليه "بيكر" ، وأهوى على يده بقبضته، فسقط المسدس على الأرض وانطلقت منه رصاصة سكنت الجدار.. أما العربي فإنه اختفى تماماً. انطلق يعدو في الدهليز "الموصل" إلى مكتب القنصل. ثم انحرف يساراً فوجد نفسه في الحديقة.. فوثب فوق السور، وتوارى وسط الزحام..

وأقبل خادم القنصل مهولاً. فوجد "بيكر" ممسكاً بساعد الإنجليزي البدين، بينما لم يحرك أحد من الآخرين ساكناً.. وصاح "بيكر" بالرجل الإنجليزي:

- ما معنى هذا؟ لماذا أطلقت الرصاص؟ فأجاب الرجل محتاجاً:

- أنا لم أطلق الرصاص. لقد سقط المسدس فانطلقت الرصاصة..

- إنك أردت إطلاق الرصاص على ذلك العربي الذي فر في التو واللحظة.

- إنما أردت إرهابه.. لقد عرفته حين نهض واقفاً. عرفت فيه شخصاً باعني قطعة أثرية زائفة.. كنت أقصد مدعيته وإرهابه فحسب..

وكان "بيكر" يكره الدعاية، فتظاهر بالاقتناع بأعذار الرجل على الرغم من تفاهتها؛ أولاً – لأنه لا يملك دليلاً ضده. ثانياً – لأن "كارمايكل" ربما لا يوافق على إثارة ضجة حول الحادث.. وراح الخادم ينحي باللائمة على الرجل الذي أطلق الرصاص في القنصلية وقال إن القنصل لن يغفر مثل هذا السلوك، فأجاب الإنجليزي:

- قلت إن الرصاصة انطلقت قضاء وقدراً، وأننا آسف لذلك. وعلى كل حال فإنني سانصرف الآن وسوف أحاول مقابلة القنصل في فرصة أخرى.. ثم قدم بطاقته إلى "ريتشارد بيكر" واستطرد قائلاً:

- إليك أسمي. وأنا أقيم في فندق المطار.. ويمكن الاتصال بي هناك إذا تطورت الأمور.. ولكنني أؤكد لك مرة أخرى أن الأمر كان مجرد دعاية. وانصرف الرجل.. وبعد لحظة دعي "بيكر" لمقابلة القنصل، وكان رجلاً نحيفاً في الحلقة الخامسة من عمره فابتدره "بيكر" بقوله:

- لا أعلم إذا كنت تذكرني أم لا.. إننا تقابلنا في "طهران" منذ عامين..

- بل أذكرك جيداً.. كنت وقتئذ مع الدكتور "بونسفيوت جونز" ، أليس

كذلك؟ هل جئت معه أيضاً هذه المرة؟

نعم.. ولكنني أجد لدى فسحة من الوقت قبل أن الحق به، وأود قضاء هذا الوقت في القيام بزيارة سريعة لـ "الكويت". فهل هناك مانع؟

ـ لا مانع على الإطلاق.. ستقلع الطائرة صباح غد فتصل إلى "الكويت" بعد ساعة ونصف الساعة. سأبرق الآن إلى "أرشي جونت" مندوبنا المقيم هناك؛ لكي يستقبلك وبعد ذلك مكاناً للإقامة.. أما هذه الليلة فإنك ستقضيها في ضيافي ..

ـ لا أريد إزعاجك.. إن في استطاعتي أن أقضي الليلة في الفندق ..

ـ إن فندق المطار مليء بالنزلاء. وسيكون من يواعث سرورنا أنا وزوجتي أن نستضيفك الليلة. إن لدينا ضيفين آخرين السيد "كروليسي" الموظف بشركة البترول، وشاب آخر يعمل مع الدكتور "راتبون" ويقضي نهاره مع رجال الجمارك للتخلص على أمتעה الدكتور وكتبه.. وكان "كلايتون" يقيم في الطابق الأول فوق مكاتب القنصلية وقد عرفت زوجته "ريتشارد بيكر" حالما رأته. فرحت به

قائلة:

ـ لقد طفتنا معاً أسواق "طهران"، وأذكر أنك ابتعت مجموعة من السجاجيد الشميمية.. فأجاب "بيكر" :

ـ إنها خير صفة عقدتها. والفضل فيها يرجع إليك.. فقال "كلايتون" :

ـ إن "بيكر" يعتزم السفر غداً إلى "الكويت"، وقد دعوته لقضاء الليلة معنا. فقالت زوجته :

ـ بغير شك.. إنني لا أستطيع أن أقدم إليك أفحى غرفتنا؛ لأن الكابتن "كروليسي" يشغلها ولكنني سأقدم إليك غرفة أخرى مريحة. واستاذن القنصل في الانصراف للعودة إلى مكتبه. وقال :

ـ يبدو أن حادثاً وقع في قاعة الانتظار، فقد قيل لي إن شخصاً شهراً مندس واطلق رصاصه.. فمقاطعه "بيكر" قائلة:

ـ الواقع أنني شهدت هذا الحادث. إن بطله رجل إنجليزي أراد مداعبة أحد العرب ولكنني جرده من سلاحه.. إليك بطاقةه. وقدم للقنصل بطاقة الإنجليزي

- البدين فقرأ فيها:
- "روبرت هول" ، مصانع "أشيل - أنفلد" .. إبني لا أعرف لماذا أراد مقابلتي ... هل كان ثملا؟
- لا أعلم .. لقد زعم أنه أراد مدعاة العربي، وأن الرصاصة انطلقت قضاء وقدرا.. فقطب "كلايتون" حاجبيه وقال:
- إن رجال الأعمال لا يزورون القنصلية عادة وفي حوزتهم مسدسات محسوسة.
- فقال "بيكر":
- أظن أنه ما كان ينبغي لي أن أدعه يذهب ..
- ليس من السهل في مثل هذه الظروف أن يعرف الإنسان ما يتبعه عليه عمله .. هل أصيب العربي؟
- كلا.
- إذن فقد أحسنت بإخلاء سبيل الرجل.
- ولكنني أعتقد أن وراء الأكمة ما وراءها.
- وأنا أيضاً أعتقد ذلك. وعاد القنصل إلى مكتبه .. بينما رافقت زوجته "بيكر" إلى قاعة الاستقبال، وقدمت له قدحاً من الشراب وسألته عن سبب سفره إلى "الكويت" فاجابها، وسألته لماذا لم يتزوج بعد. فقال: إنه يكرس كل وقته للعمل، ولا يفكر في أي شيء آخر، فسألته:
- لا توجد فتيات يعملن معكم في المغريات؟
- بل توجد فتاة أو فتاتان .. عدا زوجة الدكتور "بونسفوت جونز" بطبيعة الحال.
- وفي هذه اللحظة دخل عليهما رجل قصير القامة، عريض المنكبين، فقدمته السيدة "كلايتون" إلى "ريتشارد بيكر" باسم الكابتن "كروسي". وقالت له "كروسي" عن "ريتشارد بيكر" إنه عالم آثار ينتظره مستقبل عظيم، وإنه اكتشف مجموعة قيمة من الآثار يرجع تاريخها إلى آلاف السنين.
- فقال الكابتن:

ـ إنه لم يفهم قط كيف يستطيع العلماء تحديد أعمار الآثار التي يكتشفونها، وإنه يعتقد أنهم يكذبون على الناس. فننظر إليه "بيكر" في إشراق ولرم الصمت. فقال "كروسي" ضاحكاً:

ـ إنه إنما أراد مدعيته، وإنه يود أن يعرف كيف يحدد العلماء أعمار الآثار.. وأجاب "بيكر" بأن ذلك يتطلب شرحاً طويلاً، فأنهت السيدة "كلايتون" الحديث بقولها:

ـ ليكن ذلك في وقت آخر، أما الآن فدعني أرشدك إلى غرفتك. وعندما خلا "بيكر" إلى نفسه.. أخذ يتفقد الغرفة ويده في جيبه.. فشعر فجأة بأن في قاع الجيب ورقة مطوية لم يتذكر أنه وضعها فيه. لا يحتمل أن يكون "كارمايكل" قد دسها في جيبه عندما ظاهر بأن قدمه زلت فاستند إليه؟

أخرج الورقة من جيبه وبسطها وتبين أنها قد طويت مراراً من قبل حتى كانت تبلى، وأنها كتبت منذ ثمانية عشر شهراً. ذلك إذا صبح التاريخ المسجل فيها.. كانت تتضمن توصية من الماجور "ويلبر فورنس" بشخص يدعى "أحمد محمد"، قال فيها: إنه رجل نسيط، أمين، يجيد قيادة سيارات النقل وإصلاحها. وقطب "ريتشارد بيكر" حاجبيه. واستغرق في التفكير. من المحقق أن "كارمايكل" كان يشعر بأن حياته مهددة فلنجاً إلى القنصلية طلباً للنجاة ولكن الخطر تعقبه إلى هناك. والعدو الذي يخشاه كان له بالمرصاد في قاعة الاستقبال. وما لا شك فيه أن الرجل البدين الذي بدا في مظهر المندوبين التجاريين قد تلقى أمراً صريحاً محدداً، فلم يتردد وحاول الفتك به "كارمايكل" في دار القنصلية في وضع النهار وأمام شهود. مما يدعوه إلى الاعتقاد بأن الأمر عاجل، وعلى جانب عظيم من الأهمية.. ويبدو أن "كارمايكل" قد تبين الخطر وأحس بمصدره. فلم يكدر يتعرف زميله في الجامعة حتى استغاث به. وحرص على أن ينقل إليه تلك الوثيقة التي قد يكون لها من الأهمية أكثر مما يبدو من مظهرها، فإذا استطاع أعداء "كارمايكل" الإيقاع به ولم يجدوا معه الوثيقة، فمن المؤكد أنهم سيعواصرون البحث لمعرفة الشخص الذي انتقلت إليه. فماذا يفعل الآن بالوثيقة؟ هل يقدمها

إلى السيد "كلايتون" بصفته مثل حكومة صاحبة الجلالة مملكة "إنجلترا"؟ أم يحتفظ بها حتى يعود "كارمايكل" لاستردادها؟

وصحت عزيمته على الرأي الثاني، وهو الاحتفاظ بالوثيقة مع اتخاذ الخطوة اللازمة. ولذلك عمد إلى كتابة وثيقة مائلة، بخط متشابه بقدر الاستطاعة ولكن بمضمون مختلف تماماً.

وبعد أن فرغ من ذلك، أجرى يده على نعل حذائه.. ثم مر بها على الورقة وطواها مراراً ليكسبها مظهر القدم.

ثم تناول الوثيقة الأصلية وغلفها بقطعة من ورق السلفوفان، ثم أحاطها بطبقة من الصلصال وصورها في شكل قطعة أثرية وضعها في مكتبه.. أما الوثيقة الزائفـةـ فإنـهـ دسـهـاـ فيـ جـيـبـهـ.

وفي صباح اليوم التالي عندما استيقظ مبكراً ليستقل الطائرة إلى "الكويـتـ" وضع يدهـ فيـ جـيـبـهـ. ولمـ يـجـدـ أثـراـ لـلـوـثـيقـةـ الزـائـفـةـ.

## الفصل السابع

كانت "فيكتوريـاـ جـونـزـ" تنظر إلى الحياة من خلال منظار وردي وهي جالسة مع السيدة "كـلـيـبـ" في قاعة الانتظار المطلة على المطار. لقد مر موظف بالمطار منذ لحظات وأهاب بالمسافرين إلى «القاهرة» و«بغداد» و«طهران» «أن يستعدوا...». ثلاثة أسماء تحدثت إلى مخيـلةـ "فيكتوريـاـ" وذكرتها بكل ما فرـأـهـ وسمـعـهـ عن الشرق وسحرـهـ وغمـوضـهـ. وطبعـيـ أنـ ذـكـرـ هـذـهـ الـأـسـمـاءـ الثـلـاثـةـ لمـ يـحـدـثـ أيـ أـثـرـ في نفس السيدة "كـلـيـبـ" التي قضـتـ جـانـبـاـ كـبـيرـاـ منـ عمرـهاـ فيـ الطـائـراتـ والـبـواـخرـ والـقطـاراتـ. كانت "فيكتوريـاـ" تنعم بكل دقةـةـ منـ حـيـاتـهاـ منذـ غـادـرـتـ فـنـدقـ "سـافـويـ" فيـ الصـبـاحـ، وـذـلـكـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ثـرـثـرـةـ السـيـدـةـ "كـلـيـبـ" وماـ طـبـعـتـ عليهـ منـ التـفـكـيرـ بـصـوتـ مـسـمـوعـ.. وـرـاحـتـ السـيـدـةـ "كـلـيـبـ" تـسـتـعـرـضـ زـمـلـاءـهاـ فيـ الرـحـلـةـ.. قـالـتـ:

- هذان الأطفال جميلاً حقاً.. ولكن مرافقة الأطفال في الطائرات أمر مزعج..  
لابد أنهم إنجليزيان، أما هذا الرجل ذو الشياط الصارخة الألوان فهو فرنسي بغير  
شك، أما هذا الذي يجلس هناك، فإنه هولندي.. لقد كان يقف أمامنا عند فحص  
جوازات السفر، يُخيّل إليّ أنه ليس بين المسافرين أحد من الأميركيين. ولكن ما  
هذا؟

لقد مرّ على جلوسنا هنا أكثر من نصف الساعة.. فلم كل هذا الانتظار؟ وجاءها  
الجواب على الفور، فقد مر بهما رجل طويل القامة، أشيب شعر الرأس والشاربين  
يحمل معطفه على ساعده، يضع على رأسه قبعة عريضة الحافة أشبه بقبعات أهل  
"المكسيك"، ويحيط به عدد من موظفي شركة الطيران، يحمل أحدهم حقيبتين  
ثمينتين. كان الرجل أشبه بالملامير الذين نراهم في الأفلام. وسمعت السيدة  
"كليب" الموظفين يتسابقون للرد على أسئلة الرجل:  
ـ نعم يا سيد "روبرت".

ـ ستقلع الطائرة في الحال يا سيد "روبرت". فهمست السيدة "كليب":  
ـ السيد "روبرت"؟ ترى من يكون هذا السيد "روبرت"؟ لابد أنه إحدى  
الشخصيات المهمة. هل هو أحد وزرائكم يا آنسة "فيكتوريا"؟  
ـ لا أظن ذلك يا سيدة "كليب". ومهما يكن من أمر السيد "روبرت" .. فإنه  
كان بغير شك إحدى الشخصيات المهمة بدليل أن الطائرة كانت تنتظره، فلم يكدر  
يصل حتى دعي الركاب إلى الصعود..  
وأقلعت الطائرة، وانصرفت السيدة "كليب" إلى قراءة إحدى القصص، وراحت  
"فيكتوريا" تطل من النافذة، وأرخي سيد "روبرت" قبته على وجهه واستغرق  
في النوم.

وعندما وصلت الطائرة إلى مطار "كاستل بنيلتو" في "طرابلس"، كانت الأمطار  
تهاطل بشدة، وأقبل عدد من موظفي الشركة لاستقبال السيد "روبرت" ومرافقته  
إلى جناح فاخر في فندق المطار، بينما قصد المسافرون إلى غرف أخرى بالفندق  
لقضاء ليتهم.. وقبل العشاء. تخلفت "فيكتوريا" قليلاً في غرفتها؛ لاستبدال

ثوبها، وتصفييف شعرها، وعندما لحقت بالسيدة "كليب" التي قبضت وقتها في  
الثرثرة مع بعض المسافرين، قالت لها هذه الأخيرة :

- لقد اكتشفت حقيقة هذا السيد الذي يحيطه موظفو شركة الطيران بكل  
الرعاية والاحترام، إنه السيد "روبرت كرفتون لي" الرحالة المشهور.. لابد أنك  
سمعت عنه. فهزمت "فيكتوريما" رأسها علامة الإيجاب .. كانت قد سمعت عنه  
حقاً، ورأت صورته في بعض الصحف، وقرأت أنه يعرف "الصين" من الداخل كما  
لا يعرفها أي إنسان آخر، وأنه أحد الأوربيين القلائل الذين ارتادوا "التبت" وزاروا  
"الهاسا" .. وأنه يعرف "كردستان" وآسيا الصغرى" كأهلهما .. وقد وضع عدة  
كتب أعيد طبع بعضها أكثر من مرة. وقد كان رأي "فيكتوريما" في الرجل أنه يبدو  
أقل أهمية من كتبه، ولكنها لم تقل ذلك للسيدة "كليب".

## الفصل الثامن

كانت مكاتب شركة "جراموفون فالهالا" تقع في الطابق الخامس في إحدى  
العمارات الكبيرة في حي رجال المال والأعمال في "لندن". وفي إحدى الغرف،  
كان رجل يقرأ كتابا في الاقتصاد السياسي حين دق جرس التليفون فتناول  
السماعة، وقال بصوت هادئ :

- شركة "جراموفون فالهالا" ..

- أنا "ساندرز" ، لدى تقرير عن "هـ. ش" لقد فقدنا أثراها. فساد صمت  
عميق.. ثم صاح رجل الشركة بصوت حاد:

- ماذا قلت؟

- قلت إننا فقدنا أثر "هيلين شيل" .

- لا تذكر أسماء.. إنك ارتكبت خطأ جسيما.. كيف حدث ذلك؟

- ذهبنا إلى العيادة التي حدثك عنها.. والتي أجريت فيها جراحة لاختها.

- ثم؟

- لقد نجحت الجراحة، وظننا أن "هـ. شـ" ستعود إلى فندق "سافوي"، ولكنها لم تبرح العيادة التي وضعناها تحت رقابة مشددة..
- ولكنها مع ذلك بارحتها؟
- ذلك ما اكتشفناه فيما بعد، وقد ثبت لنا أنها غادرتها في إحدى سيارات الإسعاف غداة إجراء الجراحة.
- إذن فقد خدعتكم؟
- يُخيّل إليّ ذلك. ولكنني أستطيع أن أقسم أنها لم تكن تعلم أن هناك من يتبعقها.. فقد عملنا بحذر شديد. وكنا ثلاثة أشخاص.. و..
- احتفظ بهذه التفصيات لنفسك. وإلى أين ذهبت سيارة الإسعاف بـ"هـ. شـ"؟
- إلى مستشفى "الجامعة".
- وماذا قالوا في المستشفى؟
- قالوا إن سيارة الإسعاف حملت إليهم امرأة مريضة ومعها مرضية هي بلا شك "هـ. شـ" .. وأن المرضية اختفت عقب تسليم المريضة. ولا أحد يعلم أين ذهبت.
- وماذا قالت المريضة عنها؟
- لا شيء، لأنها كانت تحت تأثير المخدر.
- والخلاصة أن "هـ. شـ" يتحمل الآن أن تكون في أي مكان؟
- نعم، ولكنها إذا عادت إلى فندق "سافوي" فإن..
- كفى سخفاً. إنها لن تعود إلى فندق "سافوي".
- هل نبحث عنها في الفنادق الأخرى؟
- بالتأكيد. ولكن البحث لن يسفر عن نتيجة؛ لأنها تعلم أن ذلك هو أول شيء ستفعلونه.
- إذن ما هي تعليماتكم؟
- ابحثوا عنها في الموانئ، في "دوفور" و"فولكستون" وغيرها، وابحثوا في شركات الطيران. خصوصاً تلك التي تمر طائراتها بـ"بغداد"، وافحصوا سجلات

الأشخاص الذين حجزوا أماكن للسفر خلال الأسبوعين القادمين.. ولا تنسوا أن من الحق أنها سوف تسفر تحت اسم مستعار.

إن حقائبها لاتزال في فندق "سافوبي" .. ومن المختتم أن تطلب إرسالها إليها ..

لا أمل في ذلك .. ربما كنت أنت مغفل، أما هي فإنها ليست كذلك. هل تعلم أختها شيئا؟

إننا على اتصال بالمرضة التي ترعاها في العيادة الطبية.. وقد علمنا أن الاخت تعتقد أن "هـ. شـ" قد سافرت إلى "باريس" في مهمة خاصة بالسيد "مورجنثال" ، وأنها تقيم هناك في فندق "ريتز". كذلك تعتقد الاخت أن "هـ. شـ" ستعود إلى "أمريكا" في اليوم الثالث والعشرين من هذا الشهر..

معنى ذلك أن "هـ. شـ" لم تقل شيئا ولم تصارحها بشيء.. ولا غرابة في ذلك .. عليكم الآن أن تهتموا بشركات الطيران .. إن "هـ. شـ" تزمع السفر إلى "بغداد" ، وهي لكي تصل إليها في الوقت المناسب، لا مفر لها من السفر بإحدى الطائرات وفيما عدا ذلك يا "ساندرز" ..

نعم؟

لا ترتكب غلطة أخرى .. سمنحك فرصة ثانية .. ولكنها ستكون الأخيرة ..

## الفصل التاسع

نظر "ليونيل شريفهام" - الملحق الشاب بالسفارة البريطانية - إلى الطائرة التي تحلق فوق المطار وارتسمت على وجهه مظاهر القلق.. فقد رأى سحبا رملية تتجمع في الجو وتذدر بعاصفة لم يتوقعها أحد.. قال لصديقه الذي يقف بجواره:

أراهن على أن هذه الطائرة لن تستطيع الهبوط.  
فقال صديقه "هارولد":

- إذن ماذا سي فعل قائدتها؟
- أعتقد أنه سيهبط في "البصرة" فالجو هناك أفضل.
- هل في الطائرة من يهمك أمره؟ فتنهد "شريفنهايم" وأجاب:
- إنني في مأزق لا أحسد عليه.. فالسفير الجديد لم يصل بعد، والسيد "لانسرون" - الذي يقوم بعمل السفير - موجود الآن في "إنجلترا"، والسيد "رايس" - مستشار السفارة لشؤون الشرق - مصاب بحمى معوية، ودرجة حرارته أربعون ، والسيد "بيست" سافر إلى "طهران" ، وهكذا لم يبق من المسؤولين لاستقبال الطائرة سوىي.. إن في الطائرة شخصا لا أعرف عنه شيئاً سوى أنه رحالة يقضي وقته على ظهور الجمال في بلاد لم يسمع عنها أحد.. ولكن يبدو أنه شخصية مهمة، فقد صدرت إلى الأوامر بأن أنزل على إرادته والبي كل رغباته.. فإذا هبطت به الطائرة في "البصرة" فمن الحق أنه سيكون ضيق الصدر محنقا حين يصل إلى هنا.. ثم إنني لا أعرف ماذا ينبغي عمله إذا هبطت به الطائرة في "البصرة" .. ربما كان أفضل الحلول أن أرسل إليه إحدى طائرات سلاح الطيران لإحضاره .. ولكنني أعلم أن هناك قطارا يغادر "البصرة" مساء اليوم وربما كان صاحبنا يفضل أن... ولم يتم "شريفنهايم" عبارته وتنهى مرة أخرى..
- لقد أمضى في "بغداد" ثلاثة أشهر لازمه خلالها سوء الطالع، حتى بات يشعر بأن آية غلطة جديدة قد تودي بمستقبله. وأحسن "شريفنهايم" كان عينا ثقيلاً أزيح عن صدره حين رأى الطائرة تهبط بسلام وتشق طريقها في المر وتوقف في المكان المخصص لها. راح يراقب المسافرين وهم يغادرون الطائرة، وسرعان ما عرف ضالته من قبعته الغربية.. فتقدم لاستقباله ويادره بقوله:
- السيد "روبرت كرفتون لي" فيما أعتقد؟ أنا "شريفنهايم" من السفاره..
- وكان رد السيد "روبرت" يفتقر إلى اللباقة ولكن الشاب تجاوز عنه. ورافق الضيف إلى السيارة التي كانت في الانتظار وركب معه.. وقال على سبيل جس النبض:
- لقد خُلِّيَ إلى لحظة ما أن الطائرة لن تستطيع الهبوط، وأنها قد تضطر إلى مواصلة الرحلة إلى "البصرة" .. إن العاصفة الرملية.. فقاطعه السيد "روبرت"

بقوله:

ـ لو أن هذا قد حدث لكان كارثة بالنسبة إلى .. هل تعرف أيها الشاب أن أي تغيير يطأ على برنامجي قد يكون له من النتائج الخطيرة ما لا يستطيع أحد تصوّره؟ وأدرك "شريفنهم" مدى غرور الرجل وصلفه، ولكنّه أجاب باحترام:

ـ إنني واثق بذلك يا سيدى.

ـ هل تعرف متى سيصل السفير إلى "بغداد"؟

ـ إن موعد قدومه لم يحدد بعد.

ـ سوف يؤسفني ألا أراه. لقد قابلته آخر مرة في "الهند" .. وصمت قليلاً ثم سأله:

ـ ألا يزال "رايس" هنا؟

ـ نعم يا سيدى إنه مستشار الشؤون الشرقية.

ـ إنه رجل له أهميته .. ويسعدني أن أقابله.

ـ ما يُؤسف له يا سيدى أنه في المستشفى تحت الملاحظة. إذ يبدو أنه أصيب بحمى معوية وحالته تثير قلق الأطباء. فتحول إليه السيد "روبرت" بحدة وسالة:

ـ متى أدخل المستشفى؟

ـ أمس الأول. فقطب السيد "روبرت" حاجبيه، وتلاشى صلفه وتم قائلًا:

ـ من يدرى، فلعله أصيب بحمى "شيل" !!

ولم يكن "شريفنهم" قد سمع عن مرض بهذا الاسم فلزم الصمت. واقتربت السيارة من جسر الملك "فيصل" وانحرفت يساراً في الطريق إلى مقر السفارة. وفجأة، انحنى السيد "روبرت" إلى الأمام وقال للسائقين:

ـ هل لك أن تتوقف لحظة أمام هذا الحانوت؟ فأطاع السائق وأوقف السيارة أمام حانوت صغير مليء بشتى أنواع الأواني الخزفية. وغادر الحانوت في هذه اللحظة رجل أوربي سار في الطريق إلى الجسر، وخيل إلى "شريفنهم" أنه عرف فيه الكابتن "كروسي" الموظف بشركة البترول ، وكان "شريفنهم" قد التقى به مرة أو مرتين. ووثب السيد "روبرت" من السيارة، ودخل الحانوت، وتناول آنية، ودار

بينه وبين صاحب المانع حديث باللغة العربية، وكانا يتكلمان بسرعة، فلم يفهم "شريفهام" - ومعرفته بهذه اللغة محدودة - شيئاً من حديثهما.. وراح السيد "روبرت" يفحص الأواني، ويلقي بعض الأسئلة وصاحب المانع يجيبه بسهل من الكلمات.

وأخيراً وقع اختيار السيد "روبرت" على إناء صغير ذي عنق طويل ضيق، ووضع قطعة من النقود في يد صاحب المانع وعاد إلى السيارة.. وقال يحدث "شريفهام" :

- إن هذه الأواني الخزفية تصنع بنفس الطريقة منذ آلاف السنين.. وقد رأيت مثيلاتها في بعض المناطق الجبلية في "أرمينيا". ووضع إصبعه في عنق الإناء وهو يتكلم، فقال "شريفهام" :  
- إنها بدائية الصنع..

- إنني أوافقك على أنها لا قيمة لها من الناحية الفنية. إنني أحتفظ بمجموعة ضخمة من الأواني الخزفية.

#### \*\*\*\*\*

ووصلت السيارة إلى السفارة فطلب السيد "روبرت" اقتياده إلى غرفته فوراً، ولاحظ "شريفهام" أن اهتمام ضيفه بالإناء قد فتر بمجرد فراغه من الحديث عنه.. حتى إنه نسيه في السيارة. ورأى "شريفهام" من واجبه أن يحمله إليه، وشكراً السيد "روبرت" بلهجة الشخص الذي يفكر في شيء آخر. وما إن انصرف "شريفهام" حتى اقترب السيد "روبرت" من نافذة غرفته. وبسط الورقة التي أخرجها بإصبعه من عنق الإناء. كانت رسالة تتالف من سطرين. فقرأها ثم أحرقها ودق الجرس، وقال للخادم الذي أقبل :

- هل لك أن تطلب إلى السيد "شريفهام" أن يأتي مقابلتي؟  
وجاء "شريفهام" فابتدره "روبرت" قائلاً :  
- لقد طرأ على برنامجي تعديل مهم، فهل أستطيع الاعتماد على كتمانك

إيه؟

- بغير شك يا سيدى.
- حسناً.. إنني لم أقم بزيارة "بغداد" منذ بضعة أعوام، وبالتحديد، منذ نهاية الحرب، فهل لا تزال الفنادق على الضفة الأخرى للنهر؟
- نعم يا سيدى.. في شارع "الرشيد".
- على امتداد "دجلة"؟
- نعم - وأكبر هذه الفنادق هو فندق "بابل" ، الذي تنزل فيه الشخصيات الرسمية.

- هل تعرف فندقاً يسمى فندق "تيو"؟
- نعم. إن زبائنه كثيرون، وطعامه جيد، وصاحب المدعو "ماركوس تيو" رجل عجيب يعد من معالم "بغداد" .
- حسناً.. إنني أريدك أن تحجز لي غرفة في فندق "تيو" .
- فبهت "شريفنهايم" وظن أنه لم يسمع جيدا.
- قال بلسان متلعثم:

- هل تعني أنك لن تقim في السفاراة؟ لقد اتخذنا جميع الإجراءات لتوفير أسباب الراحة. فقاطعه السيد "روبرت" :
- أعلم ذلك.. ولكنني يجب أن أقوم بمقاضات سرية على جانب عظيم من الأهمية والخطورة.. وقد علمت للتو واللحظة أنني لن أستطيع إنجاز هذه المقاوضات في دار السفاراة. ولذلك أريدك أن تحجز لي غرفة في فندق "تيو" وسأغادر السفاراة سراً، أي أنني لن أكون في حاجة إلى سيارة السفاراة لذهاب بي إلى "تيو" . ثم إنني أريد أن تحجز لي مكاناً على الطائرة التي ستقلع إلى "القاهرة" بعد غد.

- ولكنني كنت أعلم أنك ستقتضي في "بغداد" خمسة أيام.
- قلت لك إن برنامجي قد تغير. ولابد لي أن أريح "بغداد" إلى "القاهرة" عقب الفراغ من مهمتي هنا.. إن بقائي في "بغداد" سيكون خطراً عليّ..

- خطر عليك؟!

فارتسمت على شفتي السيد "روبرت" ابتسامة رقيقة أذهلت "شريفنهايم".  
لقد تغير الرجل فجأة، فلم يعد ذلك الإنسان المتعجرف الذي ذكره - حين رأه في  
المطار - بعجرفة الضباط الألمان. واستطرد السيد "روبرت" قائلاً:

- إنني في العادة لا أحفل بسلامتي الشخصية، ولكن الأمر - في هذه المرة - لا  
يتعلق بي وحدي. إنه يمس أشخاصاً عديدين، لذلك أرجو أن تعمل على تنفيذ  
تعليماتي.. أما أنا فلن أغادر السفارة قبل المساء، وسأبقى في غرفتي لا أبرحها  
حتى ذلك الوقت. ولشد ما كانت دهشة "شريفنهايم" حين أردف السيد  
"روبرت" قائلاً:

- أنا رسمياً مريض بالملاريا.. ولذلك لن أتناول طعاماً.

- ولكننا نستطيع أن نقدم إليك الطعام في غرفتك..

- لا ضرورة لذلك.. إن الصوم أربعاً وعشرين ساعة لن يقتلني، فافعل كما قلت  
للك.

## الفصل العاشر

كانت أولى انطباعات "فيكتوريا" لدى وصولها إلى "بغداد" هو الإحساس  
بخيبة الأمل، فإنها لم تروهي في طريقها إلى فندق "تيو" سوى الرمال الحمراء،  
والجو الخانق، والشوارع المكتظة. وقد حرص "ماركوس تيو" - صاحب الفندق -  
على أن يستقبل السيدة "كلليب" بنفسه. كان لا يزال في مقتبل العمر، ولكنه  
ضخم الجسم، متراهن الجسد. هتف حلاماً وقع بصره عليها:

- طاب صاحبك يا سيدة "كلليب". كم نحن سعداء بلقائك.. ولكن ماذا  
أصاب ذراعك؟ إنك جئت في يوم عاصف، وقد خشيت ألا تتمكن الطائرة من  
الهبوط. لقد صع عزمي أكثر من ذي قبل على ألا أسافر بالطائرات..  
لماذا العجلة؟ إن بعض ساعات أو بضعة أيام لا تقدم ولا تؤخر.. آه! أرى أنك

أحضرت معك شابة جميلة! نحن هنا في "بغداد" نرحب دائمًا بالحسناوات اللاتي لم يسبق لنا رؤيتها.. هل تسمحان بأن أقدم لكم كما شيئاً؟

وتحت إلحاح "ماركوس" وافقت "فيكتوريما" على أن تتناول قدحاً من الشراب ثم صعدت إلى غرفتها، لاحظت حين نظرت إلى نفسها في المرآة أن شعرها قد تغير لونه بفعل ذرات الرمل الناعم التي تخللت..

ولكنها وجدت نفسها في المساء أفضل حالاً، وأكثر نشاطاً بعد أن اغتسلت واستبدلت ثيابها وتناولت غداء شهيلاً وغفت في فراشها في فترة الظهيرة.

وكانت العاصفة الرملية قد هدأت، فخرجت إلى شرفة غرفتها، ورأيت نهر "دجلة" يسبح في ضوء القمر، وعلى ضفته الأخرى على امتداد البصر كانت بعض بيوت مبعثرة بين أشجار ونخيل لا حصر لها.

وتنبهت "فيكتوريما" فجأة إلى حديث يدور بين شخصين في حديقة الفندق تحت شرفتها مباشرةً، فارهفت أذنيها. ولكن مع من تتحدث هذه السيدة الشريارة؟ وأطلت برأسها من فوق حاجز الشرفة، ورأت السيدة "كلليب" تجالس سيدة إنجليزية من ذلك الطراز الفضولي الذي يصادفه الإنسان كثيراً في رحلاته في الخارج. وكانت السيدة "كلليب" تقول:

ـ لا أعلم ماذا كنت سأفعل بدونها.. إنها أظرف فتاة قابلتها في حياتي، ثم إنها تنتمي إلى أسرة كريمة، فهي ابنة أخي أسف "لأنجو".

ـ أسف ماذا؟!

ـ "لأنجو" .. أظن أن هذا هو الاسم الذي ذكرته.

ـ لا يوجد أساقفة بهذا الاسم.

فقطبت "فيكتوريما" حاجبيها.. يبدو أن هذه السيدة ليست من يمكن خداعهم بسهولة. قالت السيدة "كلليب":

ـ ربما سمعت الاسم خطأ.. مهما يكن من أمر فإنها فتاة ظريفة مهذبة.

ـ أحلاً؟ ويبدو أن السيدة لم تقنع، فقررت "فيكتوريما" أن تتجنبيها بقدر الاستطاعة، واستلقت في فراشها، وراحت تستعرض موقفها.. إنها الآن في

"تيو" .. وواضح أنه من فنادق الدرجة الأولى، بينما كل ما تملكه لا يتجاوز أربعة جنيهات وسبعة عشر شلنا. لقد تناولت طعاماً شهياً، ومن الحق أن السيدة "كليب" لن تدفع ثمن الطعام؛ لأن مسؤوليتها حيالها قد انتهت بوصولها إلى "بغداد" .. إنها لم تعد الآن في خدمة السيدة "كليب" التي ستتسافر بقطار الليل إلى "كركوك" .

ترى هل ستقدم لها السيدة "كليب" منحة عند رحيلها؟ ربما .. ولكن ذلك ليس مؤكداً، خصوصاً وأن هذه السيدة الطيبة القلب لا تعرف شيئاً عن أزمتها المالية. لم يبق هنا لها سوى شخص واحد تستطيع الاعتماد عليه، وذلك الشخص هو "إدوارد" .. ولكن أين ستجده؟ وكيف تستفسر عنه؟ واكتشفت "فيكتوريا" فجأة أنها لا تعرف لقبه .. ولكن من حسن الحظ أنها تعلم أنه يعمل سكرتيراً للدكتور "راتبون" . والدكتور "راتبون" شخصيته معروفة دون شك. صفت "فيكتوريا" شعرها، وأصلحت من زينتها، وهبطت إلى بهو الفندق فاستقبلتها "ماركوس" بابتسامة عريضة. هتف حالمارآها مقبلة:

- آنسة "جونز" كم يسعدني أن أراك! وساكون سعيداً إذا وافقت على تناول شيء معني .. إنني أعبد الإنجليزيات في "بغداد". صديقتي. هلمي بنا إلى المشرب .. فلم تعارض "فيكتوريا" ، وما إن جلست في المشرب، وأمامها قدح من الشراب حتى شرعت في الاستفسار عما يهمها معرفته. سالتنه:

- هل تعرف شخصاً يدعى الدكتور "راتبون" وصل إلى "بغداد" مؤخراً؟

- إنني أعرف كل الناس في "بغداد" ، وكل الناس يعرفونني، والجميع أصدقائي ..

- أنا واثقة بذلك .. ولكن هل تعرف الدكتور "راتبون"؟

- في الأسبوع الماضي، جاءني القائد الأعلى لسلاح الطيران في الشرق الأوسط، ولم أكن رأيته منذ ثلاثة أعوام فقال لي إنني أصبحت بدينا ..

- آه! لكم أحب هذا الرجل! إنه ظريف حقاً.

- والدكتور "راتبون" .. فهو ظريف أيضاً؟

- إنني أحب أن أرى حولي وجوها باسمة، وأحب الشباب المرح الظرفيف الذين هم على شاكلتك ..
- هل لك في قدح آخر من الشراب؟
- كلا .. شكرا ..
- إن قدحا آخر لا يقدم ولا يؤخر ..
- والدكتور "راتبون"؟
- السيدة "كليب" أمريكية .. إن بين الأميركيين أشخاصاً ظرفاء إلى أقصى حد. إليك مثلا السيد "سومرز" إنه حين يأتي إلى "بغداد" يقضي اليوم الأول في الشراب، ويلزم فراشه طوال الأيام الثلاثة التالية. وفي رأبي أن ذلك إسراف.
- أريد منك خدمة يا سيد "تيو"؟ فابرقت أسارير "ماركوس" وقال:
- إن هذا كل ما أتمنى .. قولي ماذا تريدين فأعمل على تنفيذه فورا ..
- أريد مقابلة الدكتور "راتبون" .. إنه جاء إلى "بغداد" منذ بضعة أيام ومعه .. ومعه سكريتير ..
- "راتبون"؟ إنني لا أعرفه .. فهو ليس من عملاء "تيو" . وكانت لهجة الرجل صريحة في الدلالة على أنه لا يعترف بوجود شخص ليس من عملاء فندقه، فسألته "فيكتوريما" :
- هل ترجد فنادق أخرى؟
- بالتأكيد .. يوجد فندق "بابل بالاس" وفندق "سنحريب" وفندق "زبيدة" وجميعها من فنادق الدرجة الأولى .. ولكنها لا تضارع "تيو" .
- هذا أمر مؤكد .. ولكن لا تعلم ما إذا كان الدكتور "راتبون" ينزل في أحد هذه الفنادق؟ إنه يدير معهدا .. أو جمعية ثقافية ..
- هذا شيء جميل .. فنحن جميعا في حاجة إلى الثقافة وخصوصاً الثقافة الموسيقية .. وفيما يختص بي .. فإنني أعبد السيمفونيات . وخصوصاً القصيرة منها . وأدركت "فيكتوريما" أنها تضيع وقتها عبثا .. صحيح أن الرجل لبق . ولكن أحاديثه مهمما تتشعب تلتقي كلها عند نقطة واحدة .. هي "ماركوس" نفسه.

ورفضت الفتاة القدح الثالث الذي عرضه عليها "ماركوس". وغادرت صالة الفندق وهي تترنح.. وقصدت إلى الشرفة واستندت إليها، وراحت تتأمل النهر. وما هي إلا لحظة حتى سمعت خلفها صوتا يقول:

ـ معذرة يا آنسة.. ولكن يجب أن ترتدي شيئا يقييك من البرد. نحن لسنا في "إنجلترا" .. والجو هنا حار وخانق نهاراً ولكنه شديد البرودة حلماً تغيب الشمس. فاستدارت "فيكتوريما" ووجدت نفسها وجهاً لوجه مع السيدة التي كانت تتحدث مع السيدة "كلليب" تحت شرفتها. كانت جالسة على مقعد ثثير، وعلى ركبتيها غطاء. وحول عنقها شملة من الفرو.. وأمامها قدح مليء بالشراب. قالت "فيكتوريما":  
ـ شكرًا لك.. وهمت بدخول الفندق. ولكن يبدو أن السيدة كانت مصممة على التحدث إليها. قالت:

ـ يبدو أنني لم أقدم إليك نفسي. أنا السيدة "كاردييو ترينش" ..  
وكان واضحاً من صوتها ولهجتها أن لاسرة "كاردييو ترينش" مكانة مرموقة.  
واستطردت السيدة قائلة:  
ـ أعتقد أنك جئت إلى "بغداد" مع تلك السيدة الأمريكية. السيدة "هاملتون  
كلليب"؟

ـ نعم.. إنها قالت لي إنك ابنة أخي أسقف "لانجوا"؟  
ـ هل قالت لك ذلك؟ وابتسمت ابتسامة ذات مغزى فقالت السيدة:  
ـ إنها أخطأت بغير شك..  
ـ الواقع أن الأمريكيين كثيراً ما يخلطون بين الأسماء. إن الاسم "لانجوا" قريب  
الشبه من "لانجاو" إن عمي أسقف "لانجاو" ..  
ـ "لانجاو"؟  
ـ نعم. إنها جزيرة صغيرة في "الباسيفيك".  
ـ آه! ولم تكن السيدة "كاردييو ترينش" قد سمعت عن جزيرة بهذا الاسم،  
ولكنها قالت:

ـ إن ذلك يوضح الحقيقة.. ولكن ماذا تفعلين في "بغداد"؟

وتحرجت "فيكتوريا" من أن تقول إنها إنما جاءت للبحث عن شاب دار بينها وبينه حديث في إحدى الحدائق العامة في "لندن" .. ولكن من حسن الحظ أنها كانت قوية الذاكرة، وقالت:

- لقد جئت للحاج بعمي الدكتور "بونسفوت جونز".

- إنه رجل ظريف ولكنه سريع النسيان. لقد سمعت إحدى محاضراته في "لندن" في العام الماضي، وأقول لك الحق إنني لم أفهم منها كلمة واحدة. الواقع أنه مر بـ "بغداد" منذ أسبوعين، وأعتقد أنه قال شيئاً عن فتيات سوف يلحقن به. وأحسست "فيكتوريا" بأن مركزها قد توطد فسألت:

- ألا تعلمين إذا كان الدكتور "راتبون" موجوداً في "بغداد" أم لا؟

- أعتقد أنني قرأت أخيراً أنه سيلقي محاضرة بالمعهد يوم الخميس القادم موضوعها: «الإخاء في العلاقات الدولية» .. وإذا أردت رأيي .. فإنني أعتقد أنه يعيش في الخيال .. إن محاولة التقرير بين الشعوب لا تسفر عادة إلا عن تبعادها .. ولست أرى أية فائدة من إقامة الدكتور "راتبون" على ترجمة مؤلفات "شكسبير" أو "ملتون" إلى العربية والصينية والهندستانية.

- هل تعلمين أين يقيم؟

- أظن أنه يقيم في فندق "بابل بالاس" .. ولكن مقر عمله في "غصن الزيتون" .. بالقرب من المتحف، على بعد بعض خطوات من سوق النحاس .. "غصن الزيتون" اسم مضحك لمعهد يبعث على الضحك .. معهد تتردد عليه فتيات بعيوب نسائية يرتدين غلالات رقيقة، ولا يغسلن أعناقهن ..

- إنني أعرف سكريته ..

- آه! ذلك الشاب الوسيم .. ماذا كان اسمه؟ "إدوارد" .. نعم إنه يدعى "إدوارد" .. شاب ظريف ظلموه بوضعه في بيضة المثقفين التي لا ينتمي إليها من قريب أو من بعيد .. وقد قيل إنه أبلى بلاء مجيداً في الحرب .. ولكن يبدو أنه في حاجة إلى هذه الوظيفة .. إن جميع الفتيات مدلهات به .. وبهذه المناسبة كيف حال السيدة "بونسفوت جونز"؟ قيل لي إنها كانت مريضة جداً ..

ووُجِدَتْ "فيكتوريَا" - بعْدَ أَنْ عَرَفَتْ مَا كَانَتْ تَرِيدُ مَعْرِفَتِهِ - أَنْ مِنْ الْحَمَاقَةِ أَنْ تَتَورَّطَ فِي أَكَاذِيبِ جَدِيدَةٍ، فَأَلْقَتْ نَظَرَةً عَلَى سَاعِتَهَا وَصَاحَتْ: - يَا إِلَهِي ! السَّاعَةُ الْآنِ السَّادِسَةُ وَالنِّصْفُ، وَالسَّيْدَةُ "كَلِيبُ" تَنْتَظِرُنِي؛ لَكِي أَسْاعِدَهَا فِي ارْتِداءِ ثِيَابِهَا.. يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ.. وَكَانَتِ السَّيْدَةُ "كَلِيبُ" تَنْتَظِرُهَا حَقًّا.. فَانْطَلَقَتْ إِلَى غُرْفَتِهَا وَهِي تَكَادُ تَطِيرُ فَرْحاً.. إِنَّهَا سَتْرِيٌّ "إِدْوَارِدُ" غَدَّاً. أَمَا أُولَئِكَ الْفَتَيَاتِ الْمَدْلُهَاتِ بِهِ فَإِنَّهَا لَا تَقْيِيمُ لَهُنَّ وَزَنًا.. بَحْسِبِهَا أَنْ تَلْتَقِي بِـ"إِدْوَارِدُ" فَتَسْتَقِيمُ الْأَمْوَارُ.. وَمَرَّتِ السَّاعَاتُ التَّالِيَّةُ بِسُرْعَةٍ. تَنَاوَلَتْ طَعَامَ الْعَشَاءِ مَعَ السَّيْدَةِ "كَلِيبُ" .. ثُمَّ رَافَقَتْهَا إِلَى الْمُخْطَبِ.. حِيثُ أَجْلَسَتْهَا فِي الْقَطَارِ الْمَسَافِرِ إِلَى "كَرْكُوكُ" وَأَوْصَتْ بِهَا بَعْضَ الْمَسَافِرَاتِ.. وَعِنْدَمَا بَدَأَ الْقَطَارُ يَتَحَرَّكُ قَالَتِ السَّيْدَةِ "كَلِيبُ" وَهِي تَضَعُ فِي يَدِ "فيكتوريَا" ظَرْفًا ضَخِيمًا:

- هَذِهِ هَدِيَّةٌ صَغِيرَةٌ لِلذِّكْرِي فَتَقْبِيلِهَا يَا آنَسَةَ "جوْنَزُ" مَعَ وَافِرٍ شَكْرِي ..

- كَمْ أَنْتِ لَطِيفَةٌ يَا سَيْدَةَ "كَلِيبُ" مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَفْعَلِي ذَلِكَ ..

ثُمَّ اسْتَقْلَلَتِ إِحْدَى سِيَارَاتِ الْأَجْرَةِ إِلَى الْفَنْدَقِ، وَأَسْرَعَتْ إِلَى غُرْفَتِهَا، وَفَضَّتِ الظَّرْفُ بِأَصْبَابِ تَرْجِفَ، وَوُجِدَتْ بِهِ جُورِيَا مِنَ النَّايِلُونَ.. وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ تَرْحَبْ بِهِذِهِ الْهَدِيَّةِ فِي ظَرُوفَ أُخْرَى.. فَإِنْ دَخَلَهَا لَمْ يُسْمِحْ لَهَا قَطُّ بِأَنْ تَبْتَاعَ جُورِيَا مِنَ النَّايِلُونَ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَأْمَلُ فِي شَيْءٍ آخَرَ.. بَعْضُ التَّقْوَدِ فِي ظَرُوفَهَا الْحَالِيَّةِ، كَانَتْ أَفْضَلُ أَلْفِ مَرَّةٍ مِنَ الْجُورُوبِ.. مَا يُؤْسِفُ لَهُ أَنْ رَقَّةَ السَّيْدَةِ "كَلِيبُ" وَكِيَاسَتِهَا مَنْعِتَاهَا مِنْ أَنْ تَقْدُمَ لَهَا وَرْقَةً مَالِيَّةً ذَاتَ خَمْسَةِ دَنَانِيرٍ أَوْ أَكْثَر.. مَهْمَا يَكُنُ مِنْ أَمْرٍ.. فَإِنَّ الْأَمْوَارَ سَتَكُونُ أَفْضَلُ غَدًا حِينَ تَلْتَقِي بِـ"إِدْوَارِدُ" .. وَبِهِذَا الْأَمْلِ، أَوْتَ "فيكتوريَا" إِلَى فَرَاشَهَا.. وَبَعْدَ خَمْسِ دَقَائِقٍ كَانَتْ تَغْطِي فِي النَّوْمِ.

## الفصل الحادي عشر

كَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ أَشْرَقَتْ مِنْذِ سَاعَةٍ حِينَ اسْتِيقَظَتْ "فيكتوريَا" وَارْتَدَتِ ثِيَابَهَا وَأَطْلَتْ مِنْ شَرْفَتِهَا. وَلَشَدَ مَا كَانَ دَهْشَتِهَا حِينَ رَأَتْ رَجُلًا أَشِيبَ الشَّعْرِ

يجلس في الحديقة وظهره نحوها، فقد عرفت في الرجل السيد "روبرت كرفتون لي". لم يخطر ببالها قط أن رجلاً ذا شخصية بارزة يمكن أن يقيم في مكان آخر غير السفارة..

كانت عيناه تنظران نحو الحقول البعيدة، ولاحظت أن منظارا مكبرا يتدلّى من مسند مقعده، واستنتجت من وجود المنظار أنه ربما كان يرقب الطيور وهي تحلق في السماء، فقد عرفت في "إنجلترا" شاباً كانت له مثل هذه الهواية.. . غادرت "فيكتوريَا" غرفتها وهبطت إلى الشرفة التي تصل ما بين جناحِي الفندق، وقابلت هناك "ماركوس تيو". . فسألته:

– هل يقيم السيد ”روبرت كرفتون لي“ في هذا الفندق؟ لقد خُيّل إليّ أنني ..  
فقطعها :

—نعم، إنه يقيم هنا.. إنه رجل ذريـف.

هل تعرفه جيداً؟

— بالتأكيد. فقالت "فيكتوريا" لنفسها: «يبدو أن جميع الناس في نظر "ماركوس تيو" ظرفاء»..

وتناولت فطورها، وقررت أن تنطلق للبحث عن "غضن الزيتون" .. إن المتحف الذي تحدثت عنه السيدة "كارديو ترينيش" لا يمكن أن يكون بعيدا .. واتفق أنها قابلت "ماركوس" مرة أخرى وهي بالانصراف، فسألته عن المتحف وأجاب: - المتحف؟ إنه عظيم. مليء بالآثار القديمة الرائعة. إنني لم أذهب إليه من قبل، ولكن أصدقائي - علماء الآثار - يقضون كل يومهم هناك كلما قدموا إلى "بغداد" ..

- ولكن أين موقعه؟
- سيري في شارع "الرشيد" حتى تصلي إلى جسر الملك "فيصل" فاعبريه، ثم اجتازي شارع "البنوك" واعبري جسراً صغيراً هناك. إن المتحف في شارع ضيق إلى يسار الجسر. اطلبني هناك السيد "بيتون إيفانز" أمين المتحف. إنه رجل ظريف له زوجة رائعة جاءت معه إبان الحرب.

- الواقع، إبني لا أريد زيارة المتحف ذاته. ولكنني أبحث عن مقر جمعية أو معهد يقال له "غضن الزيتون" فهل تعرفه؟  
- لا.. وعلى كل حال فإن المتحف بعيد ويجب أن تستقل إحدى سيارات الأجرة..

- وهل يستطيع السائق أن يذهب بي إلى "غضن الزيتون"؟  
- لا بغير شك.. إن السائقين هنا لا يعرفون شيئاً على الإطلاق.. وإذا أراد الإنسان الذهاب إلى مكان ما فعليه أن يرشد السائق.  
- لعل من الأفضل أن أذهب سيراً على قدمي..  
وبعدات "فيكتوريما" رحلتها، وما لبثت أن اكتشفت أن المدينة تختلف كل الاختلاف عما تخيلتها، فحركة المرور كثيفة، وأبواق السيارات لا تكف عن الضجيج، والمتاجر مكدسة بالبضائع المستوردة، وليس هناك سوى عدد قليل من النساء المحجبات.. واجتازت جسر الملك "فيصل"، وواصلت سيرها، ووجدت نفسها دون أن تشعر أو تستفسر أمام مبني المتحف.. ولكن أين معهد "غضن الزيتون"؟

ولما كانت تحمل اللغة العربية، فإن الأسئلة التي ألقتها على التجار ظلت بغير إجابة. أما رجال شرطة المرور فكانوا منهمكين في عملهم، فلم تتح لها فرصة للتتفاهم معهم، وأخيراً سارت كييفما اتفق.. وقادتها الصدفة وحدها إلى شارع ضيق تنبئ منه ضجة شديدة.. ووجدت فجأة أنها في سوق النحاس الذي حدثتها عنه السيدة "كارديو ترينش" .. وأشارت عملية طرق النحاس وتصنيعه وزخرفته فضولها، فقضت هناك نحو ساعة نسيت خلالها كل شيء عن "غضن الزيتون" وأحسست أنها في بلاد الشرق حقاً.. وعندما غادرت السوق، وخرجت من الرقاد المقبو الذي يضم النحاسين. وجدت نفسها بفتحة أمام مبني على بابه لافتة تحمل اسم "غضن الزيتون" ، واجتازت دهليزاً ينتهي بقاعة فسيحة وجدت فيها بضعة مقاعد، ومائدتين أو ثلاثاً عليها كتب ومجلات.

ولما ألقت علينا الضوء الخافت الذي يضيء الغرفة تبيّنت دوليب الكتب التي

تغطي الجدر . ورأت الفتاة تقبل عليها وتسألهما عما في استطاعتها أن تفعله من أجلها .

كانت الفتاة ترتدي بنطلونا من القطيفة ، وقميصا جميلا برتقالي اللون ، وقد أدركت "فيكتوريا" حين رأت قسمات وجهها وشعرها الناعم أنها لابد أن تكون من أهل الشرق ، سألتها :

ـ هل هذا مقر الدكتور "راتبون"؟

ـ نعم .. هنا معهد "غضن الزيتون" .. هل تريدين الانضمام إليني؟

ـ ربما فيما بعد . أما الآن فإنني أريد مقابلة الدكتور "راتبون" . فابتسمت الفتاة ابتسامة غامضة وأجابت :

ـ إننا لا نستطيع إزعاجه . ولكنني على استعداد لأن أقدم إليك كافة الإرشادات .. ها هي ذي استماراة العضوية فاما يلبيها ووقيعى عليها بإمضائك ، أما رسم الاشتراك فهو ديناران .

فقالت لها "فيكتوريا" إنها ستفكر في الموضوع . وإنها تريد أولاً أن تقابل الدكتور "راتبون" أو سكرتيره .. وأجابتها الفتاة :

ـ ولكن ذلك مستحيل الآن . قلت لك إن ...

ـ وما وجه الاستحالة؟ هل السكرتير غير موجود؟ وكذلك الدكتور "راتبون"؟

ـ الدكتور موجود في الطابق الأول ولكنني أمر بالآن نزعجه ..

ـ إنني قادمة للتو من "إنجلترا" .. ومعي رسالة للدكتور "راتبون" على جانب عظيم من الأهمية .. ولذلك يجب أن أقابله شخصيا .. وفورا .. يؤسفني أن أضايقك ولكن لابد مما ليس منه بد .. ولاحظت الفتاة إصرارها فقالت :

ـ حسناً .. اتبعيني .. وقادتها إلى الطابق الأول ، حيث وجدت الدكتور "راتبون" .. كان رجلا قصيرا القامة ، أشيب الشعر يناظر الستين من عمره ، وقد نهض لاستقبال الزائرة التي قيل له إنها قادمة من "إنجلترا" .. بسط لها يديه مرحباً ، وقال وعلى شفتيه ابتسامة رقيقة :

ـ هل أنت قادمة من "إنجلترا"؟ لا شك في أن هذه أول رحلة إلى بلاد الشرق .

- إنها كذلك..
- يهمني أن أعرف انطباعاتك عن هذه البلاد. ولكن حدثني أولاً.. ألم نتقابل قبل الآن؟
- لا.. ولكنني صديقة لـ "إدوارد" ..
- صديقة لـ "إدوارد"؟ وهل يعلم أنك في "بغداد"؟
- لا..
- إذن فستكون مفاجأة له عندما يحضر..
- عندما يحضر؟
- نعم. إنه الآن في "البصرة" للتفاهم مع رجال الجمارك بشأن شحنة كتب وردت إلينا من "إنجلترا" ..
- متى سيعود إلى "بغداد"؟
- لا أعلم. من المحقق أنه لن يعود قبل الفراغ من مهمته. اذكري لي عنوانك وسوف أتبئه حالما يحضر. وتذكرت أزمتها المالية وحرج مركزها.. وقالت بعد تردد:
- هل يمكن أن أجده لي عملاً عندكم هنا؟
- دون شك.. إننا في حاجة إلى جميع ذوي النيات الطيبة، ونرحب بالإنجليزيات بصفة خاصة.. يوجد نحو ثلاثة شاباً وفتاة يعملون معنا الآن، ولكنني واثق بأنك ستفيديننا كثيراً..
- الواقع أنني أطلب عملاً بأجر.. فقال الدكتور "راتبون" وقد فترت حماسه فجأة:
- هذا أمر آخر، إن العمل بأجر يبدو عسيراً في الوقت الحاضر.. خاصة وأن ميزانيتنا لا تكاد تغطي مرتبات موظفينا القلائل.
- من سوء الحظ أن مركزي المالي لا يسمح لي بالعمل حباً في العمل.. واحمر وجهها وهي تستطرد قائلة:
- إنني أجيد الاختزال والعمل على الآلة الكاتبة..

ـ أنا واثق بذلك أيتها البنية العزيزة.. ولكن العقبة في الميزانية.. على أنني أرجو إذا استطعت العثور على عمل آخر أن تكرسي بعض أوقات فراغك للتعاون معنا.. إننا نؤدي هنا عملاً جليلاً يهدف إلى القضاء على الحروب، وإزالة أسباب البغض والجفاء التي تمزق العالم، وذلك بالتقريب بين الشعوب عن طريق الفن والثقافة والشعر. واشتدت حماسة الدكتور "راتبون" وممضى يقول:

لقد ترجمت مسرحية "شكسبير" "حلم ليلة صيف" إلى أربعين لغة.. فأتیحت بذلك لشباب أربعين دولة فرصة الاستمتاع بهذه التحفة الأدبية الرائعة.. إن جل اعتمادنا على الشباب. فهم أقدر على الفهم والتفاهم.. إليك مثلاً الفتاة التي استقبلتك في المكتبة. إنها سورية من "دمشق" وتدعى "كاترين" وهي في مثل سنك تقريباً، وقد لا تكون بينها وبينك أية صفة مشتركة، ولكنكم مع ذلك قد تقابلتما هنا... إن "غصن الزيتون" مباح للجميع.. وبين أعضائه شباب من "روسيا" و"العراق" و"تركيا" و"مصر" و"أرمينيا" و"إيران" .. جميعهم يقرءون نفس الكتب.. ويتبادلون وجهات النظر ويكتشفون حقائق الحياة.



وكان له "فيكتوريا" رأي آخر في فتيات "غصن الزيتون" اللائي يتھالکن على "إدوارد". أما "كاترين" بالذات فإنها لم تكن تمنى أن تنشأ بينهما أية صداقة.. ومضى الدكتور "راتبون" في حديثه.. قال:

ـ إن "إدوارد" شاب رائع. ولله قدرة عجيبة على التفاهم مع الفتيات على الرغم من أنهن جمیعاً يعبدنه. وابتسم الدكتور واستطرد قائلاً:

ـ إنما أردت بهذا كله أن أقول لك إننا سنكون سعداء إذا عملت معنا. قال ذلك وبسط لها يده فادركت أن المقابلة انتهت. وشدت على يده وانصرفت. ومررت في طريقها، بـ "كاترين"، وكانت هذه تتحدث مع فتاة أخرى خُيل إلى "فيكتوريا" أنها رأتها من قبل في مكان ما. وكان حديثهما بلغة غريبة لم تفهم منها "فيكتوريا" كلمة واحدة، وأكثر من ذلك أنهما كفنا عن الكلام حين أبصرتاها.

وسرت "فيكتوريا" في طريقها إلى الفندق، وحاولت أن تتناسى دقة مركزها كفأة وحيدة وبلا نقود في بلد غريب، بالتفكير في أمر الدكتور "راتبون" ومعهد "غضن الزيتون". لقد قال لها "إدوارد" في "لندن" إنه في عمل يثير الريبة.. فهل كان يعني بذلك الدكتور "راتبون" أم "غضن الزيتون"؟

كان رأيها الشخصي في الدكتور "راتبون" أنه عالم مجنون يعيش في حلم مستحيل التتحقق، ولكنه لا يمكن أن يكون محتالاً أو.. صحيح أنها لاحظت أن موقفه مثلاً قد تغير حين قالت له إنها تريد عملاً بأجر.. ولكن ذلك دليل على أنه رجل منطقي، متزن التفكير. إن هناك أشخاصاً يضايقهم أن يدفعوا أجراً للذين يعملون معهم، وقد قابلت "فيكتوريا" كثيرين من هذا الطراز.. ومنهم على سبيل المثال السيد "جرينهولز".

## الفصل الثاني عشر

عادت "فيكتوريا" إلى الفندق متعبة متورمة القدمين، ورآها "ماركوس" من بعيد، فدعاهما إلى الجلوس وتناول قدح من الشراب، وقدمها إلى رجل كان يجالسه يدل مظهره على عدم اعياته بهنداهه.. قال:

ـ دعني أقدمك إلى السيد "داكن". هذه هي آنسة "جونز" التي جاءت أخيراً من "إنجلترا" يا سيد "داكن" ماذا تتناولين يا آنسة "جونز"؟ عصيراً أم شراباً؟ فطلبت قدح من عصير التفاح. بينما قع "داكن" بقدح من عصير الليمون. ولمح "ماركوس" السيدة "كارديو ترينش"، فدعاهما إلى الانضمام إليهم. وقال يحدثها: ـ لا شك في أنك تعرفين السيد "داكن". هل تسمحين لي بأن أقدم إليك قدحاً من الشراب؟ فأجابت السيدة:

ـ لا بأس بقدح من الليمون بالصودا.. وحيث "داكن" بإحناء رأسها. وقالت تحدث "فيكتوريا":

ـ يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنْكَ مَتَعْبَةً.. هَلْ ذَهَبْتَ إِلَى مَكَانٍ مَا؟

- بل قمت بنزهة في السوق .. إن فيها أشياء كثيرة تستحق أن يراها الأجانب .. وجاءهم النادل بقادح الشراب وما هي إلا لحظة حتى قدم زائر جديد . قدمه "ماركوس" إلى "فيكتوريما" باسم الكابتن "كروسي" .. وسالها هذا الأخير:

- هل قدمت منذ مدة طويلة؟

— منذ أمس.

- هذا ما ظننته. فإنني لم أرك هنا قبل اليوم. فقال "ماركوس" وهو يبتسم:  
- إنها فاتنة. أليس كذلك؟ إنني أفكر في إقامة مأدبة عشاء تكريماً لها. وقالت  
السيدة "ترينش" تحدث "كروسبي":

- كنت أظن أنك في "البصرة".

— إنني عدت منها أمس: ورفع بصيره إلى إحدى شرفات الفندق وقال:

- من هذا السيد الأنيق الذي يجلس في الشرفة، ويضع على رأسه قبعة عريضة  
كقمعت أهل "المكسيك". فأجاب "ماركوس":

- إنَّهُ السِّيدُ رُوبِرتُ كُرفُتونُ لِي .. إِنَّهُ رَجُلٌ ظَرِيفٌ، وَرَحْلَةٌ مُشَهُورٌ. يَقْضِي  
جَمِيعَ وَقْتِهِ فِي ارْتِيادِ الصَّحَارِيِّ عَلَيْهِ ظَهُورُ الْجِمَالِ ..

—لقد سمعت عنه وقرأت أحد كتبه. وقالت "فيكتوريا":

— إنّه، وصلت معه على نفس الطائرة. ثم استطيردت قائلة بقلة اكتر اث:

- ولكن يُخيّل إلَيْكَ أن شيئاً فيه قد تغير. وشعرت بشيءٍ كثيرةً من الخيلاء؛ لأن "دakan" و"كروسي" لم يحولا أنظارهما عنها. وبعد قليل، استاذت "فيكتوريَا" في الانصراف، وصعدت إلى غرفتها وهنالك تمددت على فراشها وراحت تفكّر. إن ثروتها لم تعد تتجاوز ثلاثة جنيهات. وهي الآن تدين للفندق بأكثر من هذا المبلغ. وإذا لم يكن "ماركروس" قد طالبها بشيءٍ حتى الآن، فمن المؤكد أنه سيقدم إليها فاتورة الحساب بعد يومين أو ثلاثة.. أو في نهاية الأسبوع على الأكثـر،

أفلا يحسن بها أن تبادر من الآن إلى البحث عن فندق رخيص؟

إن كل أمالها تتركز الآن في "إدوارد". ولكن متى سيعود "إدوارد" من البصرة؟ وهل سيذكرها متى عاد؟

ثم من يكون "إدوارد" هذا؟ إنها لا تعرف حتى لقبه.. لقد ارتكبت خطأ جسيما حين قررت القدوم إلى "بغداد". وها هي ذي الآن بلا مال أو عمل.. وليس هناك من تستطيع الالتجاء إليه في طلب النصيحة..

إن "ماركوس" .. رجل طيب ولكنه لا يصنف إلى محدثه. والسيدة "ترينش" سيدة محترمة ولكن يبدو من سلوكها أنها لا تثق بأحد. أما الدكتور "راتبون" فإنه لا يهتم بأمرها على الإطلاق.

وكانـت لا تزال تفكـر في أمرـها حين غـلـبـها النـعـاصـ فـاستـغـرـقـتـ فـيـ النـومـ. وـفيـ هـذـهـ الأـثـنـاءـ،ـ كـانـ "ـكـروـسـبيـ"ـ وـ"ـداـكـنـ"ـ يـتـجـاذـبـانـ أـطـرافـ الـحـدـيـثـ بـعـدـ أـنـ اـنـصـرـفـ "ـمـارـكـوسـ"ـ وـالـسـيـدـةـ "ـتـرـينـشـ"ـ.ـ قـالـ الـأـولـ فـيـ هـمـسـ:

ـ ما رأيك في الفتاة؟

ـ يـبـدوـ أـنـهـاـ اـبـنـهـ أـخـ "ـبـونـسـفـوـتـ جـوـنـزـ"ـ عـالـمـ الـآـثـارـ.ـ وـلـكـنـهاـ قـدـمـتـ عـلـىـ نـفـسـ الطـائـرـةـ معـ "ـكـرـفـتوـنـ لـيـ"ـ؟

ـ لـهـذـاـ يـجـبـ أـنـ تـحـرـرـ عـنـهـاـ..ـ قـالـ ذـلـكـ ثـمـ نـظـرـ إـلـىـ سـاعـهـ،ـ وـاسـطـرـدـ قـائـلاـ:ـ سـأـذـهـبـ لـمـقـابـلـةـ "ـكـرـفـتوـنـ لـيـ"ـ..ـ وـفـتـحـ بـابـ غـرـفـةـ السـيـدـ "ـ روـبـرـتـ"ـ قـبـلـ أـنـ يـقـرـعـهـ "ـداـكـنـ"ـ،ـ وـلـمـ يـكـنـ فـيـ غـرـفـةـ سـوـىـ مـصـبـاحـ صـغـيرـ عـلـىـ مـقـرـبةـ مـنـ الـمـقـدـعـ الـذـيـ كـانـ يـجـلـسـ عـلـيـهـ السـيـدـ "ـ روـبـرـتـ"ـ قـبـلـ أـنـ يـنـهـضـ لـاستـقـبـالـ ضـيـفـهـ..ـ وـضـعـ السـيـدـ "ـ روـبـرـتـ"ـ الـمـسـدـسـ الـذـيـ كـانـ فـيـ يـدـهـ عـلـىـ الـمـائـدةـ.ـ وـقـالـ وـهـوـ يـجـلـسـ:

ـ هل تـظـنـ أـنـهـ سـيـاتـيـ ياـ "ـداـكـنـ"ـ؟

ـ أـعـتـقـدـ ذـلـكـ يـاـ سـيـدـ "ـ روـبـرـتـ"ـ..ـ أـلمـ يـسـبـقـ لـكـ أـنـ قـاـبـلـتـهـ؟

ـ لـاـ.ـ وـلـكـنـ سـوـفـ يـسـعـدـنـيـ أـنـ تـعـرـفـ بـشـابـ ذـكـيـ وـشـجـاعـ مـثـلـهـ..ـ هـلـ اـتـخـذـتـ جـمـيعـ الـاحتـيـاطـاتـ الـلـازـمـةـ؟

ـ نـعـمـ إـنـ "ـكـروـسـبيـ"ـ فـيـ الشـرـفةـ..ـ أـمـاـ أـنـاـ فـسـاـكـمـنـ فـيـ الدـهـلـيـزـ لـمـراـقبـةـ السـلـمـ..ـ وـمـتـىـ جـاءـ "ـ كـارـمـاـيـكـلـ"ـ إـلـىـ غـرـفـتـكـ فـاطـرـقـ الـبـابـ ثـلـاثـ مـرـاتـ فـانـضـمـ إـلـيـكـمـاـ.

ـ سـأـفـعـلـ ذـلـكـ.ـ وـغـادـرـ "ـداـكـنـ"ـ الـغـرـفـةـ فـيـ هـدـوـءـ كـمـاـ دـخـلـهـاـ..

## الفصل الثالث عشر

كانت "فيكتوريا" قد عقدت عزمها على أن تناول ملء جفنيها، وتنسى همومها جميماً حتى صباح اليوم التالي، ولكنها كانت قد قضت وقتاً طويلاً في فراشها بعد الظهر، فاستيقظت بعد نحو الساعة، وعبيثاً حاولت التغلب على الارق الذي استولى عليها. وأخيراً أضاءت النور، وقررت أن تستأنف قراءة قصة كانت قد بدأتها في الطائرة.

وفرغت من قراءة القصة، وأخذت تشغل نفسها بتجربة جورب النايلون الذي أهداه إليها السيد "كلليب"، ثم شرعت في تدبيع بعض الرسائل لطلب وظيفة. وبعد قليل ثناءت وأحسست بالحمول فأوْتَت إلى فراشها. ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتى فتح باب غرفتها فجأة ودخل منه رجل استدار إلى الباب وأغلقه بالفتاح.. وهتف باسمها بصوت مرتجف:

- أخفيني بحق السماء.. أسرعي.

وكانت "فيكتوريا" دائماً سريعة الخاطر.. وبنظره واحدة سجل ذهنها الحقائق التالية:

إن الرجل يلهث.. إن صوته لا يكاد يسمع.. إن يده التي تضم الحقيبة فوق صدره ترتجف.. إن الغرفة لا يكاد يكون فيها مخبأً لإخفائه.. وانصرف تفكيرها على الفور إلى الفراش. كان فسيحاً. قالت تحدث الرجل:

- أسرع. ورفعت الأغطية، وأرقت الرجل على الفراش بجوارها، وغضبه..  
ووضعت وسادتين فوقه. وجلست على حافة الفراش.. وفي نفس اللحظة سمعت طرقاً على الباب فهتفت قائلة:

- من الطارق؟ وجاء الجواب:

- الشرطة. افتحي الباب.. فضمت غلالتها حول جسدها واتجهت نحو الباب.. ولكنها لحت شملة زائرها الغامض ملقاء على الأرض، فتناولتها وأخافتها في أحد الأدراج.. ثم فتحت الباب ووجدت نفسها أمام شاب أسود الشعر، يتبعه رجل في

- ثياب الشرطة. سألت بصوت تعمدت أن يرتجف:  
— ماذا حدث؟ فأجاب الشاب بإنجليزية مقبولة:  
— يؤسفنا يا آنسة أزعجناك في مثل هذه الساعة، ولكننا نطارد مجرما هاربا  
لجل إلى هذا الفندق، ونحن بسبيل البحث في جميع الغرف .. إنه مجرم خطير إلى  
أقصى حد ..
- يا إلهي! وفتحت الباب على مصراعيه وسمحت لرجل الشرطة بالدخول ..  
ولكن عملية التفتيش لم تستغرق سوى لحظة. ثم قال الشاب:  
— إنه ليس هنا ..
- هل أنت واثق بذلك؟ الواقع، إنني تعودت أن أغلق الباب بالفاتح قبل أن أنام  
ولكن.  
— اطمئني يا آنسة. في استطاعتك أن تعودي إلى فراشك ..  
— يجب أن أغلق الباب خلفكما بالفاتح. ذلك أضمن.  
— ذلك أضمن فعلا. شكرالك يا آنسة .. أرجو لك ليلة سعيدة ..
- وانصرف الرجال، وسمعتهما "فيكتوريَا" يطرقان باب الغرفة المقابلة .. ثم  
سمعت صوت السيدة "ترينش" وهي تصيح مستنكرة. واستمر الشرطيان يطرقان  
الأبواب حتى ابتعدا عن غرفتها .. واقتربت "فيكتوريَا" من الفراش، وهي تلوم  
نفسها لإقدامها على مساعدة رجل غريب لمجرد أنه يتكلم لغتها .. ودون أن تفكر  
في أن هذا الرجل قد يكون مجرما خطرا كما قال الشرطي .. ووقفت أمام الفراش  
وقالت كلمة واحدة:  
— انهض. ولكن الرجل لم يتحرك فقالت بصوت خافت:  
— لقد رحلا. في استطاعتك أن تنهض. ولما لم تر حركة، أو تسمع جواباً،  
رفعت الأغطية بحدة ورأيت الرجل جاما في مكانه مغمض العينين ووجهه في لون  
الرماد. ولاحظت في ذات الوقت وجود بقعة كبيرة من الدم على الأغطية. فاستولى  
عليها الذعر وغمغمت:  
— كلا، كلا. كل شيء إلا هذا!! وفي هذه اللحظة فتح الرجل الجريح عينيه

ونظر إليها وتحركت شفتها، ولكن صوته كان خافتًا جدًا فلم تسمعه، وانحنى فوقه  
وسألت:

— ماذا قلت؟ وتحركت شفتها مرة أخرى. وخُيل إلى "فيكتوريا" أنها سمعت  
كلمتين لم تفهم لهما معنى :

— "لوسيفر" .. "البصرة". وتحركت شفتها مرة أخرى بعد قليل .. ولكن  
"فيكتوريا" لم تتبين جيداً ما قال. ثم اهتزت أهداب الرجل بسرعة، وجمدت  
عيناه في محجريهما ولم تبديا حراكاً بعد ذلك .. وتسمرت "فيكتوريا" في  
مكانها وخفق قلبها بشدة .. لقد أحست بالرثاء لهذا الرجل الذي أسلم الروح  
أمامها في التو واللحظة. ولكن ماذا ينبغي عليها أن تفعل الآن؟ لم تكن لديها أية  
فكرة!! هل تستغيث؟ ولكن من؟ وماذا ستقول لرجال الشرطة إذا طلبوها إليها  
إيضاحاً؟

وسمعت جلبة فنظرت خلفها، ورأت مفتاح الباب يسقط على الأرض .. وفي  
نفس اللحظة فتح الباب ودخل السيد "داكن" في هدوء.. قال بصوت خافت:

— أحسنت يا بنية!! إنك تفكرين بسرعة وتعملين بسرعة. كيف حاله؟

— أظن أنه .. مات .. وخُيل إليها أنها رأت عيني الرجل تتالقان غضباً .. ولكنه  
سرعان ما تمالك نفسه. ومحن "فيكتوريا" في وجهه سمات الرجل الحازم النشيط،  
متودق الذكاء، إنه رجل يختلف تماماً عما عرفته عن "داكن"، وانحنى هذا الأخير  
فوق الفراش، وكشف عن صدر الميت، وغمغم قائلاً:

— طعنة خنجر في القلب تماماً.. ثم أردد في أسى:

— كان رجلاً بأسلا. فقالت "فيكتوريا" :

— منذ لحظة كان هنا شرطيان قالا إنه مجرم خطير، فهل كان مجرماً حقاً؟

— كلاً بغير شك.

— وهما؟ هل كانوا من الشرطة؟

— لا أعلم .. ربما .. على أن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً. ثم قال بعد قليل:

— هل قال شيئاً قبل أن يموت؟

- نعم.

- ماذا قال؟

- قال "لوسيفر" ثم "البصرة" .. ثم نطق باسم يُخيّل إليّ أنه فرنسي .. ولكنني لم أسمعه جيدا ..

- ماذا كان ذلك الاسم؟

- "لافارج" فيما أظن ..

- "لافارج"؟!

- ولكن ما معنى كل هذا؟ وماذا يجب أن أفعل الآن؟ فأجاب "داكن":

- سنفعل كل ما في وسعنا لإبعادك عن هذا الموضوع. أما معنى هذه الحوادث فذلك ما سوف أصارحك به عندما نجلس معا .. المهم الآن هو أن تتصل بـ "ماركوس" ونستطلع رأيه .. فهو صاحب الفندق، وهو إنسان متزن التفكير على الرغم من ثرثرته وهدره .. الساعة الآن الواحدة والنصف وأعتقد أنه لم ينم بعد .. وانصرف "داكن" ، وتهالكت "فيكتوريما" في أحد المقاعد وهي تشعر كأنها في حلم .. وعندما عاد "داكن" ومعه "ماركوس" .. لم يكن هذا الأخير مرحا كما عادته. ولم تكن على شفتيه ابتسامته الخالدة المألوفة. قال "داكن":

- يجب أن تتعاون معنا يا "ماركوس". لقد اقتحم هذا الشخص هذه الغرفة وهو في الرمق الأخير، وكان البوليس يطارده فأخفته الآنسة "جونز" بدافع الإشراق عليه. ولكنه مات .. إنها أخطأت بغير شك .. ولكن ليس من الإنصاف أن نلوم فتاة تصرفت بدافع مشاعرها النبيلة. فقال "ماركوس":

- هل تريد أن أوضح الأمر لرجال الشرطة؟ إنني لا أحبهم .. ولا أود التعامل معهم .. فقال "داكن":

- إن كل ما نريده .. هو نقل الجثة من هنا دون أن نثير انتباه أحد ..

- إنني أرجو بذلك من كل قلبي .. فلست أحب أن يقال إن جثة وجدت في فندقي .. ولكن كيف؟

- أعتقد أن ذلك ميسور .. هل يوجد في أسرتك طبيب؟

- نعم.. "بول" .. زوج اختي . إنه شاب ظريف ولكنني ، لا أريد أن أجلب له المتابـ ..

- لن تكون هناك متابـ .. ستنقل هذه الجثة أولاً إلى غرفتي .. وبهذا تنتهي صلة الآنسة "جونز" بالموضوع، وبعد قليل سيأتي إلى الفندق رجل ثمل يطلب مقابلتي ويصعد السلالم وهو يتربـح . ولكنه لا يكاد يصل إلى غرفتي حتى يغمى عليه فأتصل بك وأطلب طبيباً فيحضر زوج اختك ، ويستدعي سيارة الإسعاف ويرافق صديقي السكير في السيارة إلى المستشفى ، ولكن صديقي يموت في الطريق؛ لأنـه كان مصاباً بطعنة في قلبه قبل أن يصل إلى الفندق .

- ويترك زوج اختي الجثة في المستشفى ، وصباح غد يغادر السكير المزعوم الفندق في هدوء دون أن يشير ريبة أحد . أليست هذه هي الخطـة؟  
- بلـ تماماً .

- والنتـيجة .. أنـ الجثة لا تـوـجـد في فندقـي ، وأنـ الآنسـة "جونـز" لا تـواجه متابـ من أي نوع .

- نـعم ، ولكنـ عمالـ الفندق يـتجـولـون في الأروقة إلى ساعـة مـتأخرـة من الليل .  
فـعليـكـ أنـ تشـغلـهمـ بشـيءـ ماـ رـيشـماـ انـقلـ الجـثـةـ إلىـ غـرـفـتـيـ .

- حـسـنـاً .. سـأـدـعـوهـمـ لـلـاجـتـمـاعـ بيـ فـيـ مـكـتبـيـ لـكـيـ أـبـدـيـ لـهـمـ بـعـضـ الـمـلـاحـظـاتـ الـمـهـمـةـ . وـانـصرـفـ "ـمارـكـوسـ"ـ ، وـقـالـ "ـداـكـنـ"ـ يـحدـثـ "ـفيـكتـورـياـ"ـ :

- هلـ يـمـكـنكـ مـسـاعـدـتـيـ فـيـ نـقـلـ الجـثـةـ؟ـ فـأـوـمـأـتـ بـرـأسـهاـ عـلـامـةـ الإـيـجابـ ..ـ وـبـعـدـ بـعـضـ دـقـائـقـ كـانـتـ الجـثـةـ مـسـجـاهـ فـيـ فـراـشـ "ـداـكـنـ"ـ .ـ وـقـالـ "ـداـكـنـ"ـ يـحدـثـ "ـفيـكتـورـياـ"ـ :

- هلـ لـدـيـكـ مـقـصـ؟ـ حـسـنـاـ .ـ عـودـيـ إـلـىـ غـرـفـتـيـ وـقـصـيـ مـنـ الـأـغـطـيـةـ الـمـلـوـثـةـ بـالـدـمـ وـسـالـحـقـ بـكـ بـعـدـ ساعـةـ .ـ

- وـهـلـ سـتـوضـحـ لـيـ معـنىـ كـلـ هـذـاـ؟ـ فـنـظـرـ إـلـيـهـاـ طـويـلاـ ..ـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـجـبـ عنـ سـؤـالـهـاـ .ـ

## الفصل الرابع عشر

أطفأت "فيكتوريا" النور في غرفتها وأرهفت أذنيها. وسمعت مناقشة اشتراك فيها رجل ثمل لا يبدو أنه يهتم براحة الآخرين، ثم سمعت رنين أجراس ووقع خطى كثيرة في الدهاليز. وبعد فترة من الوقت ساد صمت عميق لم يشبه سوى نغمات موسيقى عربية منبعثة من غرفة بعيدة.

وخيَّلَ إِلَى "فيكتوريا" أنها انتظرت ساعات طويلة قبل أن يفتح باب غرفتها أخيراً في هدوء. فاعتدلت في فراشها، وأضاءت المصباح خافت الضوء. بينما جلس "دakan" على حافة الفراش وراح ينظر إليها بإيمان كما ينظر الطبيب إلى المريض قبل أن يصارحه بنتيجة الفحص. وتكلمت "فيكتوريا" أولاً، وقالت:

ـ ألا توضح لي معنى كل هذا؟ فاجاب "دakan" :

ـ سأوضح لك كل شيء إذا تحدثنا عنك أولاً، وإذا ذكرت لي ماذا تفعلين هنا؟ وماذا جاء بك إلى "بغداد"؟

وبعدت "فيكتوريا" تتكلم، ويبعدوا أنها تأثرت بشخصية "دakan" القوية فلم تحاول الكذب. وبعبارات واضحة روت قصتها دون أن تخفي شيئاً، فذكرت كيف قابلت "إدوارد"، وكيف قررت القدوم إلى "بغداد" مهما يكلفها الأمر، والمعجزة التي حدثت بظهور السيدة "كليب"، والمأزق المالي الذي تعانيه في الوقت الحاضر. فقال "دakan" :

ـ فهمت! ثم استطرد قائلاً بعد صمت طويل:

ـ كنت أود أن أجنبك التورط في هذه القضية، ولكن ذلك كان مستحيلاً، لأنك تورطت فعلاً، وغرقت في القضية إلى أذنيك، وما دام الأمر كذلك. فلماذا لا تعملين لحسابي؟ أحمر وجهها فرحاً وهتفت:

ـ هل تعرض على عمل؟

ـ نعم. ولكنه عمل يختلف عن جميع الأعمال التي زاولتها.. عمل حافل بالأخطر.

- ولكنه شريف .. أليس كذلك؟ صحيح، إنني ألجأ إلى الكذب في بعض الأحيان. ولكنني لا أقدم أبداً على عمل يحرمه القانون. فابتسم "ذاكن" وأجاب: - الواقع، إنني لم أفكر فيك إلا لبراعتكم في الكذب. إن العمل الذي حدثتكم عنه شريف فاطمئني .. إنكم ستعملون في جانب النظام والقانون .. وسأوضح لك الموقف بالقدر الذي يساعدكم على فهم مهمتك ومعرفة الأخطار التي قد تتعرضون لها، إنكم لا تفتقرین إلى حسن الإدراك، ولكن من المحقق أنكم لم تتوفرى في يوم ما على الإمام بمشكلات السياسة الدولية. فاطرقت "فيكتوريما" برأسها علامة الإيجاب وقالت:

- إن كل ما أعلمه أن العالم يعيش فوق بركان، وأن الحرب قد تقع بين يوم وآخر.  
- ذلك ما يقال فعلاً.. هل تعلمون لماذا؟

- بسبب اختلاف المذاهب السياسية .. في "أمريكا" و"روسيا".

- أرى أنكم قد قرأت بعض الصحف، واستمعت إلى بعض الإذاعات .. إن ما ذكرته هو الحقيقة على وجه التقرير. وهناك عقيدةتان سياسيتان. تمثل "الولايات المتحدة الأمريكية" إحداهما، وتتمثل "روسيا" الأخرى. ولا شك في أن أهل العالم في المستقبل إنما يتوقف على السلام، وأن السلام لن يتوطد، إلا إذا اعترفت كل من هاتين الدولتين بحق الأخرى في اعتناق المذهب السياسي الذي يوائمهما وتطبقة في مناطق نفوذهما فحسب، أو إذا اتفقا على التعايش والتعاون، ولكن من سوء الحظ، أن ما يحدث هو عكس ذلك تماماً ..

إن الهوة بين العسكريين تزداد عميقاً يوماً بعد يوم، حتى انتهي الأمر ببعض الناس إلى التساؤل. لا يمكن أن يكون تعميق الخلافات بين هذين العسكريين من عمل قوة ثلاثة لا نعرفها في الوقت الحاضر؟

ذلك لأنه كلما حدث تقارب بين العسكريين الرئيسيين، وكلما لاحت تباشير اتفاق بينهما، وقع حادث أفسد كل شيء. وأثار شكوك كل من العسكريين ومخاوفه من العسكري الآخر.

وهذه الأحداث التي تفرق بين العسكريين ليست وليدة المصادرات .. إنها

مقصودة، ومدبرة.

- مدبرة؟! لماذا؟ وكيف؟

- كيف؟ إن الوسائل كثيرة.. وأهمها المال.. إن المال وراء كل ما يحدث في العالم اليوم، ومصدره في القضية- التي نحن بصددها - لا يزال موضع شك. إننا نرى بين وقت وآخر إضرابات وأوضطرابات عمالية تحدث فجأة هنا وهناك، فتزعزع مراكز حكومات تعمل في الواقع لصالح شعوبها. إن العمال يقدمون على الإضراب بسلامة نية.. ظنا منهم أنهم يدافعون عن مصالحهم وحقوقهم... ولكن من أين يأتي المال الذي يمول الإضرابات والحركات العمالية؟ إن أموالاً ضخمة تختفي من الأسواق ولا أحد يعرف مصيرها. وكميات هائلة من الالاماس والأحجار الكريمة تشتري من أسواق متعددة، ثم تختفي ولا أحد يعلم أين ذهبت.

- ولكن..

إن ما أريدك أن تفهميه يا "فيكتوريا" هو أن هناك جماعة لا نعرف نياتها على وجه التحديد، ولها صالح في تعزيز الخلافات بين المعتكفين الكبار، ولدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن لهذه الجماعة وكلاء في جميع بlad العالم، وأن بعض هؤلاء الوكلاء يشغلون مراكز خطيرة.. فهم طابور خامس لا يعمل على المستوى القومي فحسب، وإنما يعمل كذلك على المستوى العالمي.

- ولكن، من هؤلاء الوكلاء؟

– نحن نظن أنهم أناس ليست لهم جنسية محددة. يخشون أن يعم السلام ويسود الرخاء. ويعتقدون أنهم الفئة المختارة لإخضاع هذا العالم المنحل لإرادتهم وفرض سلطانهم ونظامهم عليه قوة وقها. هذه الجماعة التي لا تستطيع تعريفها بطريقة أدق، تبادر نشاطها من خلال مراكز متعددة أحدها في "الأرجنتين" والآخر في "كندا" .. والثالث – وربما أكثر – في "الولايات المتحدة الأمريكية"، وقد لوحظ خلال العامين الأخيرين أن ثمانية وعشرين من كبار العلماء الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة اختلفوا تماماً كما لو كانت الأرض قد انشقت وايتلعلتهم. لا أحد يعلم أين ذهبوا. أو ماذا كان مصيرهم وقد حدث مثل ذلك

لكثرين من الطيارين والمهندسين والفنين. كذلك لوحظ أنهم جميعاً من الشبان الطموحين، الذين ليست لهم روابط عائلية فائين ذهباً؟

لا أحد يعلم .. ولكن بدأت تتكون لدينا فكرة عما في استطاعتهم أن يفعلوا. وكانت "فيكتوريا" تصفي في اهتمام وشغف. فمضى "ذاكن" في حديثه وقال: - في هذا العصر الذي نعيش فيه. يصبح أن يقال إنه لا يوجد بلد يمكن أن تقام فيه مصانع ضخمة تنتج في سرية تامة.. ومع ذلك فتوجد مناطق نائية بعيدة عن العمran وخطوط المواصلات. تحيط بها الجبال والصحراء .. وتسكنها قبائل تتبعض الأجانب والدخلاء ولم يجرؤ على ارتياها سوى عدد قليل جداً من المغامرين. في مثل هذه المناطق يمكن أن تحدث أمور لا يعرف عنها العالم الخارجي شيئاً.

وهناك منطقة بعينها ، يصل إليها الإنسان عن طريق "الصين" ، أو باجتياز جبال "الهيمالايا" في رحلة شاقة طويلة، وعلى الرغم من ذلك فإنهم أرسلوا إليها الآلات والمأود والموظفين من شتى أنحاء العالم.

رجل فذ واحد ارتاب في الأمر.. . رجل ولد في "قشجار" وأجاد التحدث بلغات الشرق ولهجاته، وله أصدقاء واتصالات في كل مكان.. هذا الرجل وقع على الأثر وتبعه، ولما عاد إلى العالم المتحضر.. قدم تقريراً لم يصدقه رؤساؤه؛ لفريط غرابته فلم يسعه في آخر الأمر إلا الاعتراف بأنه ربما كان محظوظاً بهذى أو كان يحلم. شخصان فقط صدقما ما جاء في التقرير. كنت أنا أحدهما. فلقد حدثت المستحيلات أمام عيني أكثر من مرة.. مما جعلني أندى الششؤم.

أما الشخص الآخر فكان السيد "روبرت كرفتون لي" الرحالة المشهور. الذي زار بنفسه تلك المنطقة، وقال إنها يمكن أن تنطوي على مفاجآت مذهلة. وتشجع "كارمايكيل" - وهذا هو اسم الرجل الفذ الذي ذكرته - وقرر أن يذهب إلى المنطقة لتقصي الحقيقة. كانت رحلة محفوفة بالمخاطر، ولكنه كان كفءاً لها.. . وبدا "كارمايكيل" الرحلة منذ تسعه أشهر، ولكن لم تصلنا أنباؤه إلا منذ بضعة أسابيع.. فعلمـنا أنه تحقق من صدق روايته، وأنه في طريقه إلينا ومعه الأدلة. ومزيد من المعلومات. غير أن الأعداء اكتشفوا أمره.. الأعداء الذين يهمهم إلى

أقصى حد ألا يعود بالأدلة. فوضعوا الرقابة على المحدود. وقتلوا بعض الأبراء مجرد الشبهة في أن يكون أحدهم "كارمايكل" وعلى الرغم من ذلك استطاع "كارمايكل" الإفلات. وظل سليماً معافى حتى مساء اليوم.

ـ إذن فالرجل الذي قتل الليلة. كان هو؟

ـ والأدلة التي جاء بها.. هل سلبوه إياها؟ فارتسمت على شفتي "داكن" ابتسامة حائلة وأجاب:

ـ إن من يعرف "كارمايكل" كما أعرفه.. يرتاب في ذلك ، مما لا شك فيه أنهم لم يسلبوه الأدلة. كل ما في الأمر أنه مات دون أن ينقلها إلينا أو يرشدنا إلى مكانها، لقد حاول ذلك وأعتقد أن كلمات: «لوسيفر» .. «البصرة» «لافارج» هي مفتاح السر..

ـ لقد مر بـ "البصرة" وذهب إلى القنصلية ليقدم تقريره ولكنه كاد يقتل في قاعة الانتظار.. وأنا أعتقد أنه ترك الأدلة التي نشدها في مكان ما في "البصرة" ، وأريدك أن تذهب إلى هناك للبحث عنها.

ـ أنا؟!

ـ نعم.. أنت، إنك تفتقرين إلى الخبرة، ولا تعرفين الشيء الذي تبحثن عنه.. ولكنك سمعت آخر كلمات نطق بها "كارمايكل" .. فإذا ذهبت إلى "البصرة" فإن هذه الكلمات قد توحّي إليك بشيء.. من يعلم؟ «إن الحظ يخدم الغشيم» كما يقول المثل.

ـ كم يسعدني أن أذهب إلى "البصرة"! قالت ذلك بحماسة فلم يتمالك "داكن" نفسه من الابتسام. قال:

ـ لأن صديقك هناك!! سبب معقول. لن يرتاب فيه أحد، ولن نجد أفضل منه. أذهب إلى "البصرة" وافتتحي عينيك وأذنيك. وانظري حولك جيداً.. أنا لا استطيع أن أصدر إليك أية تعليمات.. وأعتقد أن ذلك أفضل.. فأنت لا تنقصك سعة الخيال، ولا سرعة الخاطر. ابحثي عن معنى كلمتي "لوسيفر" و"لافارج" وأنا أعتقد مثلك أن "لافارج" هو اسم أحد الأشخاص..

- ولكن كيف أذهب إلى "البصرة"؟ ومن أين لي النقود؟

فأخرج "ذاكن" حافظة نقوده، وقدم للفتاة حزمة من الأوراق المالية وهو يقول:

- أما النقود فها هي ذي. وأما الرحلة فعليك أن تقابلني غداً السيدة "كارديبو ترينيش" تلك العجوز الشريارة، قولي لها في معرض الحديث إنك تريدين السفر إلى "البصرة" للحاق ببعثة عمك الاستاذ "بونسفوت جونز" المزعومة.. واطلبي إليها أن تدلك على فندق هناك. وستجربك بأن القنصلية سوف يسرها أن تستضيفك، وأنها ستبرق إلى السيدة "كلايتون" زوجة القنصل لستقبالك..  
واعتقد أنك ستقابلين "إدوارد" هناك. إن جميع الإنجليز الذين يمرون بـ"البصرة" ينزلون في ضيافة آل "كلايتون" ونصيحتي الأخيرة إليك هي أنك إذا وقعت في مأزق وطلب إليك الإفضاء بما تعلمين وتحساب من تعاملين.. فلا تتضمني الشجاعة والبطولة بل اعترفي بكل شيء..

- يسرني أن أسمع ذلك.. ولكنني قوية الإرادة، ومهما عذبني فلن أنطق بكلمة.

- لن يعذبك أحد، فالتعذيب وسيلة عتيقة. إن حقنة صغيرة تكفي لأن تحمل عقدة لسانك.. وتجعلك تجيئين بصدق وإخلاص عن كل ما يلقى عليك من أسئلة، ولذلك لا ينبغي الاحتفاظ بأسرارك إذا كان الشمن باهظا.. وهم فضلاً عن ذلك يعرفون كل شيء. ولن يجدوا في اعترافك أية معلومات جديدة. إن ما حدث الليلة لا يدع لديهم مجالاً للشك في الدور الذي أقوم به.. أو الدور الذي يقوم به السيد "روبرت".

- "إدوارد" هل أطلعه على مجريات الأمور؟

- ذلك أمر أتركه لك. المفروض من حيث المبدأ ألا يعلم أحد بمهمتك في "البصرة" .. أما من الناحية العملية. ونهض واقفاً دون أن يتم عبارته، ثم استطرد قائلاً:

- إذا أنت صارحته بكل شيء.. فإنه سيتعرض لنفس الأخطار مثلك، ولكنني أعلم أنه كان طياراً، وأنه أبلى بلاء حسناً في الحرب. ولذلك أعتقد أن الأخطار لن

تحيفه. هل قلت لي إن معهد "غضن الزيتون" – الذي يعمل فيه "إدوارد – يثير ريبته؟ إذا صع ذلك فسيكون أمرا خليقا بالاهتمام.

– لماذا؟

– لأن ذلك هو انطباعنا نحن أيضا عن هذا المعهد. والآن سأقول لك شيئا آخر قبل أن أنصرف.. حاولي ألا تنتورطي في أكاذيب ضخمة.. وافتتحي أذنيك جيدا وإذا سمعت اسم "هيلين شيل" فاتحيهما أكثر وأكثر..

– "هيلين شيل"؟ من هي؟

– نحن لا نعرف عنها إلا القدر البسيط. ولكن يهمنا أن نعرف المزيد.

## الفصل الخامس عشر

هتفت السيدة "كارديو ترينش" قائلة:

– فندق المطار؟ كلا.. لا تفكري في ذلك.. يجب أن تقيمي في دار القنصلية. إن "كلايتون" وزوجته سيسرهما أن يرياك.. إبني أعرفهما منذ سنوات عديدة، ثم إنهم من أصدقاء الدكتور "بونس福特 جونز" .. سأبرق إليهما الآن وعليك أن تستقلـي قطار المسـاء. واحـمر وجهـ "فيكتوريـا" .. إن كذبة أسـقف "لأنجـو" كانت أـفضل من كذـبة "بونـسـفـوتـ جـونـزـ" الذي يـحـتمـلـ فيـ آـيـةـ لـحظـةـ أنـ تـجـدـ نفسـهاـ معـهـ وجـهاـ لـوجهـ. علىـ أنـ الرـحلـةـ كـانـتـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـهـاـ شـيـئـاـ جـديـداـ مـشـيرـاـ.. وـقـدـ وـجـدـتـ سـيـارـةـ رـسـمـيـةـ فـيـ اـنـظـارـهـاـ فـيـ محـطةـ "الـبـصـرـةـ" .. فـاسـتـقـلـتـهاـ إـلـىـ دـارـ القـنـصـلـيـةـ.. كـانـتـ القـنـصـلـيـةـ تـشـغـلـ فـيـلـلاـ كـبـيرـةـ تـحـيـطـ بـهـاـ حـدـيـقةـ مـتـرـامـيـةـ الـأـطـرـافـ، وـفـيـ الطـابـقـ الـأـوـلـ مـنـ الـفـيـلـلاـ شـرـفـةـ فـسـيـحةـ تـدـورـ حـولـ الـمـبـنـىـ كـلـهـ.. وـقـدـ خـفـتـ السـيـدةـ "كـلاـيـتونـ" لـاستـقـبـالـ "فيـكتـوريـاـ" بـالـبـابـ وـهـتـفـتـ وـعـلـىـ شـفـتيـهاـ اـبـتسـامـةـ سـاحـرـةـ:

– كـمـ يـسـرـنـاـ أـنـ نـرـاكـ أـيـتهاـ الـعـزـيزـةـ.. إـنـ "الـبـصـرـةـ" رـائـعةـ فـيـ هـذـاـ الفـصـلـ مـنـ السـنـةـ.. وـالـجـمـيعـ يـعـلـمـونـ ذـلـكـ وـيـسـارـعـونـ إـلـىـ الإـقـامـةـ فـيـهاـ.. وـأـحـيـاـنـاـ كـنـاـ نـجـدـ صـعـوبـةـ فـيـ توـفـيرـ مـكـانـ لـجـمـيعـ الزـائـرـينـ.. وـلـكـنـ مـنـ حـسـنـ الـحـظـ أـنـ الـأـمـرـ يـخـتـلـفـ

الآن.. فليس لدينا سوى ضيف واحد يعمل مع الدكتور "راتيون" وهو شاب طريف سوف تقابلينه.. وقد فاتتك مقابلة "ريتشارد بيكر" الذي رحل أمس، وهو أيضاً شاب مهذب يعد من خيرة علمائنا الشباب.. وفكرت "فيكتوريَا" .. ترى من يكون "ريتشارد بيكر" هذا؟ لعل من الخير أنه رحل. فإن أحداً لا يهمها سوى "إدوارد" .. ومضت السيدة "كلايتون" في حديثها قائلة:

- لقد رحل إلى "الكويت" لقضاء يومين هناك. ولكن حدثني أيهما تفضلين أولاً. الاستحمام أم الغداء؟

وفضلت "فيكتوريَا" الاستحمام أولاً. ورفقتها السيدة "كلايتون" إلى غرفتها وهناك اغتسلت، وصففت شعرها، وأصلحت زينتها، استعداداً للقاء الرجل الوحيد في حياتها.

كان يهمها أن تنفرد به أولاً ولو فترة قصيرة حتى لا تفتقض صلتها المزعومة بالدكتور "بونسفووت جونز". فأطلت من الشرفة وراحت ترقب قدومه.. وبعد قليل رأت رجلاً طويل القامة، نحيفاً يجتاز الحديقة، فتوارت عنه في غرفتها، حتى إذا سمعت وقع قدميه على سلم القنصلية عادت إلى مكانها في المقصورة.. وما هي إلا لحظة حتى أبصرت "إدوارد" يجتاز الحديقة فهتفت بصوت خافت:

- "إدوارد" .. "إدوارد" ..

ورفع الشاب رأسه، ولاحظت أنه أكثر وسامة مما كان عندما قابلته في "لندن" فهمست قائلة:

- اقترب. فنظر إليها في دهشة وهتف:

- مستحيلاً إبني لا أصدق عيني. فهمست قائلة:

- أبق حيث أنت، وسألحق بك. وهبطت الدرج مسرعة، ووجدت "إدوارد" في مكانه وقد تملكته الدهشة. قال حلاماً آهـاً:

- إبني لا أصدق عيني.. أهذه أنت حقاً؟

- هأنذا بلحمي وعظمي..

- ولكن ماذا تفعلين هنا؟ وكيف جئت؟ كنت أظن أنني لن أراك أبداً.

- ذلك ما ظننته أنا أيضاً.
- ولكن ماذا جاء بك إلى هنا؟
- الطائرة؟
- مفهوم.. ولكن أية مصادفة سعيدة ساقتكم إلى "البصرة"؟ كيف قدمت إلى هنا؟
- بالقطار..
- يالله من خبيثة! أجبني بحق السماء!
- لقد جئت برفقة سيدة أمريكية كسرت ذراعها.. تدعى السيدة "كلليب" وقد عرضت عليّ مرافقتها غداة يوم رحيلك.. و كنت قد ضفت بـ "لندن" فقلت لنفسي إنه ليس ثمة ضرر من تغيير الجو.
- إنك رائعة يا "فيكتوريا" .. وهذه السيدة "كلليب" .. أهي هنا في "البصرة"؟
- كلا. إنها رحلت لزيارة ابنتها في "كركوك" .. كان الاتفاق أن أرافقها خلال الرحلة إلى "بغداد" فحسب..
- وماذا تفعلين الآن؟
- لا أزال أحاول الإنفادة من تغيير الجو.. وكان طبيعيا في سبيل ذلك أن ألجأ إلى الحيلة والخداع. ولهذا حرصت على التحدث إليك قبل أن نلتقي أيام الآخرين.. حتى لا تعلن على الملا أني كنت في آخر لقاء بيننا مجرد كاتبة اختزال متعطلة.
- أطمئني .. قولي لي ماذا زعمت عن نفسك فأؤيد مزاعنك؟
- زعمت أني ابنة أخ الدكتور "بونسفوت جونز" عالم الآثار المشهور.. وأنني سالحة به بعد بعض الوقت.
- وبالتأكيد لا صحة لشيء من هذا كله؟ ولكن هبّي أنك تقابلت مع الدكتور "بونسفوت جونز".
- إنني أستبعد ذلك .. فقد قيل لي إن عالم الآثار إذا ابتدأ في إحدى الحفريات فإنه لا يبرح مكانه ولا يفك في أي شيء آخر.
- قيل لي أنا أيضاً شيء بهذا المعنى .. ولكن هل لـ "بونسفوت جونز" ابنة أخ

حقاً؟

- من أين لي أن أعلم؟

- إذن فأنت لم تتحللي شخصية فتاة أخرى؟ إن هذا أقل خطورة..

- أليس كذلك؟ ثم إبني أستطيع عند الضرورة أن أزعم إبني ابنة عمه، ولكنني تعودت أن أدعوه "عمي".

- إنك تفكرين في كل شيء يا "فيكتوريًا" .. أنت فتاة مدهشة حقاً.. ولكن هل فكرت في مزاولة عمل ما؟

- إبني أسعى للحصول على عمل، وقد ذهبت إلى "غصن الزيتون" وقابلت الدكتور "راتبون" فوافق على أن أعمل في المعهد ولكن مجاناً.

- يا له من وجد عجوزاً! إنه يريد أن يعمال الناس معه حباً في الأدب والفن..

- هل هو محظى؟ فتردد "إدوارد" قليلاً قبل أن يجيب:

- الواقع، إبني لا أستطيع أن أبدى رأياً، فهو يعمل من أجل فكرة، ويعمل بإخلاص، والمعهد لا يدر عليه ربحاً.. ولكنني مع ذلك لا أتمالك نفسي من الإحساس بأن في الأمر ما يريب. فقالت "فيكتوريًا":

- هل بنا ندخل، ولنتحدث في ذلك فيما بعد.

هتفت السيدة "كلايتون" حالمًا بأصرتّهما:

- لم يخطر بيالي قط أن كلامكم يعرف الآخرًا! فضحكـت "فيكتوريًا" وأجاـبت:

- إنـنا صـديـقـانـ قدـيـمانـ.. وـلـكـنـيـ لمـ أـتـوقـ أنـ أـجـدـهـ هـنـاـ.

وقـالـ "كـلـاـيـتـوـنـ"ـ وـهـوـ الرـجـلـ الطـوـيلـ النـحـيفـ الذـيـ رـأـتـهـ "فيـكتـوريـاـ"ـ منـ شـرـفـتهاـ -ـ مـحـدـثـاـ "إـدـوارـدـ"ـ :

- هلـ فـرـغـتـ مـنـ عـمـلـكـ فـيـ الجـمـرـكـ؟

- كـلاـ.. وـلـاـ تـزالـ صـنـادـيقـ الـكـتـبـ فـيـ مـكـانـهـاـ.. وـالـإـفـرـاجـ عـنـهـاـ يـتـطـلـبـ إـجـرـاءـاتـ لـاـ نـهاـيـةـ لـهـاـ. فـابـتـسـمـ "كـلـاـيـتـوـنـ"ـ وـقـالـ:

- هـكـذـاـ الـحـالـ فـيـ الشـرـقـ.. لـاـ شـيـءـ يـتـمـ بـسـرـعـةـ.

- يخيل إلي في بعض الأحيان أنهم يتعمدون الإبطاء، فالمؤولون قلما تجدهم في أماكنهم عند الحاجة إليهم.. إن نياتهم تبدو طيبة، والجميع على استعداد للتعاون والمساعدة ولكن لا شيء يتحرك من مكانه. وضحك فقالت السيدة "كلايتون":

- لا شك في أنك ستصل إلى نتيجة إن عاجلاً أو آجلاً، وقد أحسن الدكتور "راتبون" في اختيارك لهذه المهمة، ولو لا ذلك لبقيت الصناديق في الجمرك شهوراً عديدة.

- منذ أن بدأت أحداث "فلسطين" وهم يخشون القنابل والمطبوعات المثيرة... إنهم يرتاينون في كل شيء. فقالت السيدة "كلايتون" وهي تنظر إلى زوجها:

- أرجو ألا يجدوا في صناديق الدكتور "راتبون" بعض القنابل.. فأجاب الزوج:

- يا صديقتي العزيزة، إن الدكتور "راتبون" عالم كبير وعضو في عدة أكademيات، ورجل معروف ومحترم في "أوروبا" كلها.. وكان في صوته ولهجته معنى التأنيب، ولكن زوجته تجاهلت ذلك وقالت:

- مدام الأمر كذلك فإنه يستطيع الاستغلال بتهريب الأسلحة دون أن يثير ريبة أحد.

فلم يجب "كلايتون" ، ورأت "فيكتوريما" على وجهه مظاهر الامتعاض. وبعد الغداء خرجت "فيكتوريما" و"إدوارد" للنزهة على ضفة "شط العرب" ، وتوجلا في سيرهما حتى وصلا إلى السوق، ثم عادا في الطريق إلى القنصلية.. وفجأة، قالت "فيكتوريما" لصاحبيها:

- حدثنى يا "إدوارد" ما لقبك؟ إنك لم تذكر لي اسم أسرتك..

- يا إلهي !! هذا صحيح.. إن اسمي كاملاً هو "إدوارد جيرنج".

- الواقع أنتي شعرت بشيء من الحرج حين ذهبت إلى "غضن الزيتون". للسؤال عن شخص لا أعرف عنه إلا أنه يدعى "إدوارد" ..

- ألم تقابلي هناك فتاة ذات شعر أسود؟

- بلـى، قابلتها.

- إنها تدعى "كاترين"، وهي فتاة ظريفة.. ولو أنك ذكرت أمامها اسم "إدوارد" لعرفت على الفور من تعنين. أنا واثق بأنك و "كاترين" سوف تصبحان خير صديقتين.
- لا أظن أن هناك ما يدعو إلى لقائنا.
- ولم لا؟ سأسعى لإلهاشك بعمل في "غصن الزيتون".
- كييف؟
- لا أعلم. ولكنني سأفكر في الأمر.. سأقول له "راتبون" إنك تمجيدين الاختزال والكتابة على الآلة الكاتبة.. إلخ..
- ولكنك سوف يلاحظ أن هذه ليست الحقيقة.
- مهما يكن الأمر، فسأجده لك عملاً في المكتبة؛ لأنني لا أرضى أن تقضي وقتك في الطواف هنا وهناك بحثاً عن وظيفة.. ولكنني أصارحك من الآن بأن العمل في المعهد لن يكون سهلاً كما تتوهمين..
- ذلك بالإضافة إلى أن نشاط المعهد يشير الريبة.. أليس هذا رأيك؟
- بلـ، أعتقد أنني قلت ذلك..
- وأنا بدورـي أعتقد أنك على حق.. فتحـولـ إليها وسائلـها بـحدةـ:
- وما حملـكـ علىـ هذاـ الاعتقـادـ؟
- بعضـ أمـورـ سـمعـتهاـ منـ أحدـ أـصـدقـائيـ.
- منـ هوـ؟
- أحدـ الأـصـدقـاءـ.. فـقلـبـ "إـدـوارـدـ" شـفـتهـ وـلـمـ يـجـبـ.. وـقـالـتـ "فيـكتـورـياـ" بـعـدـ لـحظـةـ:
- حدـثـنيـ ياـ "إـدـوارـدـ" .. أـلاـ يـوجـدـ بـيـنـ المـتـرـدـدـيـنـ عـلـىـ "غـصـنـ الـزـيـتونـ" شـخـصـ يـدـعـىـ "لـافـارـجـ"ـ؟
- "لـافـارـجـ"ـ؟ كـلاـ.. مـنـ يـكـونـ "لـافـارـجـ"ـ هـذـاـ؟
- وـ "هـيلـينـ شـيلـ"ـ؟ أـلاـ يـذـكـرـ هـذـاـ الـاسـمـ بـشـيءـ؟
- وـ كانـ ردـ الفـعلـ فـيـ هـذـهـ المـرـةـ سـرـيـعاـ، فـقـدـ اـسـتـدارـ "إـدـوارـدـ"ـ إـلـىـ "فيـكتـورـياـ"

وأنمسك بيدها بشدة وسأل:

- ماذا تعلمين عن "هيلين شيل"؟

- دع يدي يا "إدوارد". إنك تؤلمني.. أنا لا أعلم عنها شيئاً.. إنني أسألك إذا كنت تعرف شيئاً.

- من حدثك عنها؟ السيدة "كليب"؟

- كلا.. لا أذكر تماماً.

- وما يحملك على الظن بأن لـ"هيلين شيل" صلة بـ"غضن الزيتون"؟

- وهل أخطئ في هذا الظن؟

- لا أعلم. لا أعلم. كل شيء يبدو غامضاً.

وكانا قد وصلا إلى سور الحديقة فنظر "إدوارد" إلى ساعته وقال:

- يجب أن أذهب لمقابلة رجال الجمرك.. مما يؤسف له أنني لا أعرف اللغة العربية. سأتركك الآن ولكن لوقت قصير.. فإن هناكأشياء كثيرة أريد أن أسألك عنها..

- وأنا لديّ أشياء كثيرة أريد أن أقولها لك.. وفي المساء، خرج الشابان للنزهة مرة أخرى، وشغلهما الحديث عن الاستمتاع بجمال الطبيعة في ضوء القمر. وكانت "فيكتوريا" قد قررت مصارحة "إدوارد" بقصتها، فقالت:

- لقد بدأ كل شيء ببساطة تامة.. فتح باب غرفتي بفندق "تيو" .. ودخل رجل.. ولم يلبث الرجل أن مات بضررية خنجر.

- ماذا قلت؟

- قلت إنه مات بضررية خنجر.. ولو استخدموا في قتلها مسدساً سمعت صوت الطلاق الناري.. مهما يكن الأمر فإنه مات..

- مات ثم دخل غرفتك؟

- لا تكن مغفلاً يا "إدوارد" .. وسردت عليه القصة كلها.. ولكن ليس بالبراعة التي اعتادت أن تكذب بها، وكانت النتيجة أن "إدوارد" سألها حالما فرغت من قصتها:

- هل أنت بخير يا "فيكتوريا"؟ هل أنت واثقة بأنك لم تصابي بضربة شمسن؟

فنظرت إليه مستنكرة. ولم تجد ما تعقب به على سؤاله فقال:

- إنك تذكرين أمورا لا يمكن تصديقها.. فالمنظمة العالمية التي عنها تتحدثين، والاستعدادات السرية التي تجري في "التبت" أو "بوخارستان" كل هذه أمور لا وجود لها إلا في القصص. حفأً إنك فتاة خصبة الخيال يا "فيكتوريا" اعترفي بأن كل ما ذكرته هو من اختراعك.. وأنك ما سألتني عن "هيلين شيل" إلا لتسويدي قصتك الخيالية.

- ولكنك سمعت بهذا الاسم من قبل.. أنا واثقة بذلك..

- أعتقد أن بعضهم ذكره أمامي..

- أين؟ في "غصن الزيتون"؟ فكر "إدوارد" لحظة ثم قال:

- ربما.. إن الأمر يبدو غريبا..

- تكلم..

- إني أعجب بك يا "فيكتوريا" .. ولكنني لست مثلك، وليس لي ذكاؤك. إني أشعر بالأمور، ولكنني لا أحسن التعبير عنها..

- إذن لا تجهد نفسك. فإنني أعرف هذا الشعور. وقد خالجني آخر مرة في فندق "تيو" عندما رأيت السيد "روبرت" جالسا في الشرفة.

- السيد "روبرت"؟

- نعم السيد "روبرت كرفون لي" .. لقد كان معه في الطائرة.. ولكنني عندما رأيته في شرفة الفندق .. أحسست بإحساسا غامضا بأنه غير طبيعي، وأنه يفتقر إلى شيء يكمل انطباعاتي الأولى عنه. أما ما هو هذا الشيء؟ فذلك ما لا أعلمه ولا أستطيع التعبير عنه.

- أعتقد أن "راتبون" طلب إليه إلقاء محاضرة في "غصن الزيتون" .. ولكنني أظن أنه استقل الطائرة أمس إلى "دمشق" أو إلى "القاهرة" ..

- لنعد إلى حديثنا عن "هيلين شيل" ..

- كل ما ذكره.. هو أنني سمعت إحدى الفتيات تردد اسمها..

- "كاترين"؟

- زبما كانت هي.

- وماذا قالت عن "هيلين شيل"؟

- كانت تتحدث مع فتاة أخرى في "غصن الزيتون" .. وسمعتها تقول:

- سوف تتغير الاوضاع لدى وصول "هيلين شيل". فإننا لا نتلقي الأوامر إلا منها.. ومنها وحدها.

- ألم يشر هذا الكلام دهشتوك وفضولك يا "إدوارد"؟

- لا .. فلقد قلت لنفسي إنهم ر بما تنتظرون رئيسة جديدة لشؤون المكتبة .. ولكن أصدقيني يا "فيكتوريا" .. هل أنت واثقة بأن القصة التي سررتها علي لم تكن مجرد حلم؟ فرمقته بنظرة صاعقة أرغمته على التراجع، والاعتذار. قال :

- معدرة يا "فيكتوريا" .. الواقع أني لم أستطع تجاهل القصص العجيبة التي دأبت على اختراعها. كقصة أسقف "لأنجو". وقصة "بونسفوت جونز" .. وغيرهما. فهزمت كتفيها وأجبات :

- هذه كانت مجرد دعابات صبيانية. أما القصة التي سررتها عليك اليوم فإنها جادة.. وعلى جانب عظيم من الأهمية.

- وهل أحسست بأن المدعو "داكن" كان مقتنعاً بصحة المعلومات التي ذكرها لك؟

- كان مقتنعاً تماماً بالاقتناع .. ولكن حدثني يا "إدوارد" كيف علمت؟ ولم تم عبارتها، فقد سمعت في هذه اللحظة صوتاً صادراً من الشرفة يهتف بهما:

- أما آن لكم أن تدخل؟ لقد أعددت لكم قدحى القهوة .. كان ذلك صوت السيدة "كلايتون". فهرول الشباب إلى الداخل .. كانت "فيكتوريا" تتناول طعام الفطور على مائدة آل "كلايتون" في صباح اليوم التالي، حين فتح "جيرالد كلايتون" جهاز الراديو لسماع نشرة الأخبار .. وشرع المذيع يتلو الأنباء قال:

أعلن رئيس الوزراء في مجلس العموم أمس تفصيلات جديدة عن قيود

الاستيراد.. جاء من "القاهرة" أن جثة السيد "روبرت كرفتون لي" وجدت طافية في النيل.. فوضعت "فيكتوريما" قدح الشاي على المائدة أمامها ونظرت في هله إلى السيدة "كلايتون" التي أرسلت آهه ذعر ودهشة.. ومضى المذيع يقول: كان السيد "روبرت" قد وصل بالطائرة إلى "القاهرة"قادماً من "بغداد" .. ونزل بأحد الفنادق الكبرى في العاصمة المصرية، وغادر الفندق في المساء وانقطعت أخباره طوال الأربع والعشرين ساعة التالية إلى أن وجدت جثته، وقد أثبتت الفحص الطبي أنه لم يمت غرقا وإنما قتل بطعنة خنجر أصابت القلب ..

والسيد "روبرت" رحلة ذاتي الصيت، اكتسب شهرته من رحلاته إلى "الصين" و"بوخارستان" .. وله بضعة مؤلفات قيمة.. قالت السيدة "كلايتون" وقد فر لونها:

ـ مات مقتولأ؟ يا إلهي !! هل كنت تعلم ذلك يا "جيروالد"؟ فأجاب "كلايتون":

ـ علمت أنه اختفى .. ويبدو أن شخصا حمل إليه رسالة فقرأها وغادر الفندق على الأثر.. دون أن يذكر اسم المكان الذي ذهب إليه .. وبعد لحظات خلا المكان إلا من "فيكتوريما" و"إدوارد" فقالت الفتاة:

ـ ما قولك الآن؟ ألا تزال تعتقد أني اخترعت القصة؟ لقد قتل "كارمايكل" أولاً، ثم لحق به السيد "روبرت" ويبدو أن كل من له صلة بالموضوع مصيره إلى ال�لاك.. ومن يدرى فعلل دوري قد قرب ..

ـ أرجوك يا "فيكتوريما" .. لا تتكلمي بهذه اللهجة كما لو كان الأمر مجرد دعابة.. على أني لا أرى ما يبرر مخاوفك. فإنك لا تعلمين شيئاً بصفة مؤكدة، وليس لك في الموضوع أي دور إيجابي.. و موقفك منه لا يختلف عن موقفي.

ـ أنا التي جررتك إلى هذا المأزق .. فهز كتفيه وقال:

ـ أرجو أن أكون في مأزق حقاً.. فإن ذلك يضفي شيئاً من الإثارة على الحياة المملة التي أحياها...

## الفصل السادس عشر

- 1 -

- قال "داكن":  
- حدثيني.. هل وجدت صديقك؟ فاومأت "فيكتوريا" برأسها علامة الإيجاب.. قال:  
- وهل اكتشفت شيئاً؟  
- لا.. كانت تبدو عليها دلائل الضيق فابتسم "داكن" وقال:  
- ليس ثمة ما يدعو إلى الأسى.. وينبغي أن تذكري دائماً أن النتائج في هذه اللعبة قلما تأتي بسرعة..  
- وهل أستمر؟  
- وهل يهمك أن تستمر؟  
- بالتأكيد. فقد وعديني "إدوارد" بعمل في "غصن الزيتون"، وأعتقد أنتي إذا فتحت عيني هناك فقد أقع على بعض الأمور المهمة.. وخاصة عن "هيلين شيل".  
- إنهم يعرفونها هناك.  
- أحلاً تقولين؟ وكيف اكتشفت ذلك؟ فقصت عليه "فيكتوريا" ما سمعه "إدوارد" من "كاترين" وقال "داكن":  
- هذا أمر على جانب عظيم من الأهمية..  
- ولكن من هي "هيلين شيل" هذه؟ هل تعرف عنها شيئاً؟ أم أنها بالنسبة إليك مجرد اسم؟  
- "هيلين شيل" هي سكرتيرة أحد كبار الماليين في "أمريكا". ومدير أحد البنوك الدولية الكبرى.. وقد رحلت من "نيويورك" إلى "لندن" منذ عشرة أيام واختفت بعد ذلك..  
- اختفت؟ لا شك في أنك لا تريد أن تقول إنها ماتت..  
- إذا كانت قد ماتت فإن جثتها لم يعثر عليها..

- ولكن هل ماتت؟

- ربما..

- وهل كان يجب أن تأتي إلى "بغداد"؟

- لا أعلم. لكن إذا صاح ما سمعه "إدوارد" من المسماة "كاترين" فلابد أن "هيلين شيل" كانت تنوى الحضور إلى "بغداد" .. على أنه ليس لدينا - حتى هذه الساعة - ما يحملنا على الاعتقاد بأنها ليست على قيد الحياة ..

- ربما، ولكنني أناشدك أن تكوني حذرة .. فنحن نناضل أشخاصا لا يتحرجون من شيء .. ولست أريد أن يعثر على جثتك يوما ما طافية في نهر "دجلة" ..  
- كما عثر على جثة السيد "روبرت كرفتون لي"؟ ومتى الحديث عن سيد "روبرت" .. لقد لاحظت عندما رأيته في فندق "تيو" منذ أيام أن شيئا فيه أثار حيرتي ..

- شيئا فيه أثار حيرتك؟ أي شيء تعنين؟

- هذا ما أحاره أن أتبينه .. ولعله أمر لا يستحق الاهتمام.

- إن أتفه الأمور قد تكون ذات أهمية كبيرة ..

- من رأى "إدوارد" أني إذا وفقت إلى عمل في "غصن الزيتون" ، فيجب أن أنتقل من فندق "تيو" إلى غرفة مفروشة عند إحدى العائلات ، أسوة بالفتيات اللاتي يعملن في المعهد.

- الواقع، إن ذلك أفضل .. يبدو أن صديقك "إدوارد" شاب متزن التفكير ..

- هل تريد أن تقابلها؟

- لا، بل قولي له ألا يحاول مقابلتي حتى لا يتورط في الموضوع كما تورطت أنت بعد موت "كارمايكيل" ، إنه الآن بعيد عن الشبهات والأفضل أن يظل كذلك ..

- كنت أود أن أعرف من الذي قتل "كارمايكيل" . هل قتله شخص تبعه إلى الفندق؟

- لا، فذلك مستحيل.

- مستحيل؟!

- إنه جاء عن طريق النهر، ولم يكن هناك من يتعقبه، نحن نعلم ذلك؛ لأن رجالنا كانوا يراقبون النهر.

- هل قتله إذن شخص كان موجوداً في الفندق؟

- أكاد أجزم بذلك. وبالتحديد فإن القاتل كان يقيم في هذا الجناح بالذات، وقد كنت أراقب السلم بنفسي ولم أر أحداً يأتي عن طريقه. وفكّر "داكن" لحظة ثم استطرد قائلاً:

- وذلك يسهل عملية حصر المشتبه فيهم.. إذ لم يكن في هذا الجناح سواك أنت والستّيدة "كارديو ترينش" و"تيو" وشقيقته، وخدمتين عجوزين يعملان في الفندق منذ عدة أعوام، ورجل يدعى "هاريسون" من موظفي شركة البترول في "كركوك"، ويخيل إليّ أنه رجل شريف، ثم مرضة بالمستشفى الإسرائيلي. ولكن لا يتحمل أن يكون القاتل واحداً من هؤلاء.

- لماذا؟

- لأن "كارمايكل" كان شديد الحذر، وكان يعلم أنه وصل إلى أخطر مرحلة في مهمته، ثم إنه كان يتمتع بما يشبه أن يكون لديه حاسة سادسة تنبئه إلى الخطر.

- إذن هل قتله رجلاً الشرطة؟

- إنّهما حضرا فيما بعد، جاءا من الشارع، ولابد أنّهما تلقيا إشارة من شخص ما، ولكنّهما ليسا القاتلين، القاتل إما شخص كان "كارمايكل" يعرفه ويثق به، أو إنسان نكرة تافه لا يؤبه به. ليتنى أعرف فقط أي الافتراضين أصح !!

- 2 -

استطاع "إدوارد" بطريقة ما - لم تعرّفها "فيكتوريَا" - أن يجد لها عملاً في "غضن الزيتون" بمرتب ضئيل، فكانت تقضي كل وقتها في غرفة مظلمة مضاءة بالكهرباء بصفة مستمرة، حيث تكتب مختلف الرسائل والنشرات ذات الصلة بأعمال المعهد على آلة كاتبة رديعة. لقد قال لها "إدوارد" إنه يرتاب في نشاط

المعهد . وأيد "داكن" هذا الرأي ، وحضها على أن تحاول معرفة ما إذا كان هذا الرأي يقوم على أساس ، وكانت تمنى أن تجد شيئاً .  
ـ إلا أنه لم يكن هناك شيء تستطيع أن تجده .

كانت رسالة المعهد هي دعم السلام بين الشعوب ، فكانت تعقد فيه الاجتماعات ، وتلقى الحاضرات ، وتوزع الشطائر وعصير البرتقال ، ولكن لم تكن هناك أسرار أو مؤامرات .

وكانت "فيكتوريا" قد غادرت فندق "تيو" وأقامت في أحد البنسيونات على الضفة اليسرى للنهر ، مع بعض فتيات من جنسيات مختلفة بينهن "كاترين" . وقد أحسست "فيكتوريا" بأن "كاترين" ترمقها بنظرات تنم عن السخط والكراهية ، ولكنها لم تعلم هل ذلك لأنها ترتاتب في أمرها ، أو لأنها تغافل عنها . وبعد طول تفكير رجحت "فيكتوريا" الافتراض الأخير ، فقد كان معروفاً أنها تدين بوظيفتها لـ "إدوارد" ولم تكن "كاترين" هي الوحيدة التي أكلت الغيرة قلبها ، فإن جميع فتيات المعهد كن مولعات بـ "إدوارد" ، وكان "إدوارد" يعاملهن على قدم المساواة ، فلا يؤثر إدحافهن على الأخرى ، غير أن صلتة بـ "فيكتوريا" - أمام الآخريات - كانت تتسم بمزيد من التحفظ . ولكن على الرغم من افتتان "فيكتوريا" بأن نشاط "غضن الزيتون" فوق الشبهات ، فإن سلوك مؤسس المعهد كان يثير في نفسها الريب والمخاوف . فقد حدث أكثر من مرة أنها لاحظت أنه يرمي بها خلسة بنظرات فاحصة ، وودت لو تعرف ماذا يظن هذا العجوز بها .. وهل يرتاتب في الأسباب التي حملتها على العمل في المعهد .

كانت تعليمات "داكن" محددة ، وقد اتفق معها على طريقة الاتصال به .. فيما لو كانت لديها معلومات تود الإفشاء بها إليه . فاعطاها منديلاً وردي اللون ، وطلب إليها إذا أرادت مقابلته أن تتنزه على ضفة النهر كما اعتادت أن تفعل كل مساء ، إلى أن تجد سلماً يؤدي إلى المكان الذي ترابط فيه قوارب النزهة والصيد فتضيع قطعة من المنديل في مسمار مثبت في جدار السلالم .. وقد انتهت "فيكتوريا" فرصة سفر "إدوارد" إلى "إيران" ، فاتصلت بـ "داكن" بالطريقة المتفق

عليها.. لا لشيء إلا لتصارحه بأنها لم تقع على جديد، وأن حياتها في المعهد مملة إلى أقصى حد. فسألها "ذاكن":

— والدكتور "راتبون"؟ هل هو رجل أمين؟ ولم تدر "فيكتوريما" لماذا تجib. فقال "ذاكن":

— الواقع أن الدكتور "راتبون" هو الشخص الوحيد الذي يتبرر قلقي؛ لأنّه رجل ذو مركز مرموق، فإذا افترضنا أن هناك مؤامرة لاغتيال إحدى الشخصيات المهمة التي ستشترك في مؤتمر "بغداد". فإن أحداً من الطلاب، أو شباب الشوارع لن تتح له فرصة للاقتراب من الزعماء الكبار، وأية محاولة لإلقاء قنبلة سوف تبوء بالفشل؛ لأن رجال الشرطة سيطوفون الشوارع الرئيسية، وسيحيطون الزعماء المنتظر قدومهم إلى "بغداد" بحراسة مشددة، أما "راتبون" فإنه في حد ذاته مشكلة؛ لأنّه شخصية معروفة ومحترمة، ويستطيع إذا شاء أن يلبّي الدعوات التي سترسل إليه لحضور حفلات الاستقبال التي ستقام تكريماً للزعماء وبذلك تتح له — كل الفرص الممكنة. ولهذا أريد أن أعرف حقيقة موقفه..

وفي اليوم التالي، عاد "إدوارد" من رحلته، وقدم إلى "فيكتوريما" بعض الأوراق لكتابتها قائلاً:

— الدكتور "راتبون" يرجو أن تكتب هذه الأوراق فوراً، مع الاهتمام بالصفحة الثانية بصفة خاصة؛ لأنّها حافلة بأسماء عربية معقدة. فتنهدت "فيكتوريما"، وشرعت تستخدم الآلة الكاتبة. كان خط الدكتور "راتبون" واضحاً، وسرعان ما فرغت من نسخ الصفحة الأولى وعندما بدأت تكتب الصفحة الثانية، أدركت لماذا حرص "إدوارد" على لفت نظرها إلى هذه الصفحة خاصة.. فقد وجدت رقعة صغيرة ملصقة بالصفحة الثانية ومكتوبة بخط "إدوارد". قرأت فيها هذه الكلمات:

«اذبهي للنزهة على ضفة نهر "دجلة" في الساعة الحادية عشرة صباحاً، وسأكون في انتظارك بالقرب من بيت الملك "علي". وفرغت "فيكتوريما" من كتابة الأوراق، وحملتها إلى الدكتور "راتبون"، فتصفّحها هذا ببطء. وكانت

"فيكتوريما" قد همت بالانصراف فبادرها بقوله:

- هل أنت سعيدة هنا يا "فيكتوريما"؟

- نعم يا دكتور.. شكرًا لك. فنظر إليها بحدة، واضطرت إلى أن تطرق برأسها.

قال:

- أخشى أن يكون الأجر الذي تتلقاه ضئيلاً..

- لا أهمية لذلك، أنا أحب عملي..

- أحقاً؟

- نعم.. إنني أشعر بأنني أؤدي عملاً يستحق الجهد الذي يبذل فيه.. فقال دون أن يحول عينيه عن وجهها:

- وهل يوفر لك هذا الأجر مطالب الحياة؟

- نعم - إنني أقيم في غرفة لا تكلفني كثيراً. لدى أسرة أرمنية. الواقع أن "بغداد" تفتقر إلى كاتبات الاختزال، وأعتقد أنك تستطعين الحصول بسهولة على وظيفة أفضل باجر أكبر.

- ولكنني لا أود استبدال وظيفة أخرى بوظيفتي هنا.

- ربما كان من الحكمة أن تفعلي. فهتفت بصوت مرتفع:  
- من الحكمة؟

- هذا ما قلت، إنها مجرد نصيحة صغيرة، مجرد رأي. وكان في صوته ما يشبه التهديد، فلم تحاول الفتاة إخفاء دهشتها. قالت:

- الواقع أنني لا أنهم يا دكتور!!

- إن من الحكمة ألا يقحم الإنسان نفسه في أمور لا يفهمها.. وكان التهديد في هذه المرة واضحًا. واستطرد الرجل قائلاً:

- لماذا جئت للعمل هنا؟ هل جئت من أجل "إدوارد"؟

- كلا بالتأكيد.. فهز الشيخ رأسه وقال:

- إن "إدوارد" لا يزال في أول السلم، ولا بد أن تمر سنوات عديدة قبل أن يتمكن من عمل شيء من أجلك.. ولو كنت مكانك لألقعت عن التفكير فيه، ولهذا قلت

لث إن في استطاعتك أن تجدي عملا آخر في "بغداد" بأجر أفضل، عملا يؤمن مستقبلك.. مع أناس في مستواك.. فقلت بحده:  
- ولكنني أحب العمل في "غصن الزيتون" يا دكتور.. فهز كتفيه. وأشار بوجهه.. وانصرفت "فيكتوريما" وهي في حيرة من أمر هذا الحديث.  
ترى هل فعلت شيئاً أثار ريبة الدكتور "راتبون"؟ ترى هل أدرك أنها جاسوسة؟

## الفصل السابع عشر

في اليوم التالي ذهبت "فيكتوريما" للقاء "إدوارد" في الموعد المتفق عليه، ووجده يدخل لفافة تبغ بجوار سيارة سوداء عتيقة.. وهتف "إدوارد" حلاماً رأها:  
- حسن.. كنت أخشى أن تضللي الطريق.. اصعدي إلى السيارة.. فأطاعتة مغبطة سائلت:  
- إلى أين سنذهب؟  
- إلى خرائب "بابل".. أليس من حقنا أن نلهو قليلاً بعيداً عن "غصن الزيتون"؟

وتحركت بهما السيارة. وحين نطق "إدوارد" باسم "غصن الزيتون".. تذكرت "فيكتوريما" حديثها مع الدكتور "راتبون" وكان لا يزال يقلقها. فرأيت من الحكمة أن تفضي به إلى "إدوارد"، الذي هتف بعد سماع روایتها:  
- ولكن هذا خطير جداً يا "فيكتوريما" .. ماذا قال لك بالتحديد؟ فبذلت "فيكتوريما" قصارى جهدها لاستعادة الكلمات التي استخدمها "راتبون" في حديثه، وصاح "إدوارد" وعلى وجهه مظاهر الانزعاج:  
- ألم تفهمي أيتها الصغيرة المسكينة أن هذا الرجل يضمر لك سوءاً. كانت كلماته بمثابة تحذير وإنذار.. وهذا أمر خطير!! إن هؤلاء الناس لا يقفون في شرورهم عند حد.. وأنا لا أريد أن أسمع يوماً نبا العثور على جثتك في نهر "دجلة". فأطرقت "فيكتوريما" برأسها ولم تجرب. وبعد رحلة شاقة في طريق وعر

استغرقت زهاء الساعتين توقفت بهما السيارة عند خرائب "بابل". وكانت "فيكتوريَا" تتوقع أن ترى أعمدة من الرخام وبقايا أقواس نصر كتلk التي رأتها في صور خرائب "بعلبك"، ولكنها لم تجد أمامها سوى حوائط من الطوب، وأكواخ من الحجارة.

وبعد أن طافا المكان، انتحيا ركنا تناولا فيه الطعام الذي أحضره "إدوارد" معه. ثم تقددا فوق الرمال طلبا للراحة، وأغمضت "فيكتوريَا" عينيها وراحت تفكّر وتتحدث إلى نفسها:

ـ هانذا بين خرائب "بابل" من يصدق ذلك..؟ لا شك في أني في حلم، وأنني متى استيقظت وفتحت عيني فسأجد نفسي في "لندن" .. في مكتب السيد "جرينهولز" .. وسأكتشف أن "إدوارد" لم يكن إلا شخصا من صنع خيالي .. فتحت عينيها .. كلا .. إنها لا تحلم .. فيها هي ذي الشمس المحرقة تصليها نارا حامية .. إنها تختلف تماما عن شمس "لندن" . وهذا هو "إدوارد" مدد بجوارها.

ما أجمل شعره الطويل المتسلل فوق عنقه! ثم إن عنقه جميل أيضاً مثل شعره .. وليس فيه تجاعيد أو بثور .. أو ندبات .. أو حتى شامة واحدة .. كتلk التي رأتها في عنق السيد "روبرت" حين جلس على المقعد الذي أمامها في الطائرة. وفجأة، أفلتت من فمها آهة عميقه، فاستدار إليها "إدوارد" وسأل:

ـ ماذا حدث؟

ـ تذكرت شيئا، عن السيد "روبرت كرفتون لي". فحملق إليها وكأنه يطلب إيضاحاً فقالت:

ـ كانت له شامة في عنقه.

ـ أحقاً؟

ـ نعم. كان جالسا أمامي في الطائرة، فرأيت الشامة ..

ـ وأية غرابة في ذلك؟

ـ إنك لم تفهم يا "إدوارد" ! عندما رأيت السيد "روبرت" في شرفة فندق

"تيو" ، لم يكن في عنقه أثر الشامة.

- وماذا في ذلك؟

- فكُّر جيداً يا "إدوارد" . في الطائرة كانت في عنقه شامة . وفي الفندق لم يكن هناك أثر للشامة .

- ربما أزالها؟

- لو أنه أزالها لتركت أثراً .. أصلح إليّ يا "إدوارد" . إن الرجل الذي رأيه في فندق "تيو" لم يكن هو السيد "روبرت" . فنظر إليها في ذهول و هاتف:

- لا شك في أنك فقدت صوابك يا "فيكتوريا" ، ألم تقولي إنك رأيته و عرفته في الفندق؟

- عرفت قبعته ومعطفه، ومظهره.

- ولكنهم عرفوه في السفارة.

- في السفارة؟ إنه لم يذهب إلى السفارة، وإنما ذهب إلى فندق "تيو" . كان هناك أحد الملحقين في انتظاره في المطار، أما السفير فكان في "لندن" يضاف إلى ذلك أن السيد "روبرت" كان كثير الأسفار.. فلم يره الناس في "إنجلترا" إلا فيما ندر.

- ولكن لماذا قُتل؟

- لماذا؟ بسبب "كارمايكل" الذي كان مقرراً أن يلتقي به في "بغداد" ليعرف منه الحقائق التي اكتشفها في رحلاته، ولم يكن الرجل قد تقابلما من قبل، وعندما رأاه "كارمايكل" في الفندق لم يعرفه، ولم يرتب في أمره، ومن الحق أن السيد "روبرت" الزائف هو الذي قتل "كارمايكل" ، هذه حقيقة مؤكدة يا "إدوارد" .

- أنا واثق بأنك تخدعين نفسك يا "فيكتوريا" ، هل نسيت أن السيد "روبرت" قتل فيما بعد، في "القاهرة"؟

- نعم. إنه قتل في "القاهرة" .. هذا مخيف يا "إدوارد" . أستطيع أن أقول إنني كنت هناك حين قتل.

- هذا هو الجنون بعينه.

- كلا.. أصغ إليّ يا "إدوارد" .. إنني أذكر الآن ما حددت.. لقد هبطت بنا الطائرة في "القاهرة" ، فانتظرنا في صالة "الترانزيت" ريثما يتم تموين الطائرة وتستعد للإقلاع.. وكان السيد "روبرت" يجلس على مقربة مني فجاءت إحدى المضيفات وقالت له إنه مطلوب في "المكتب" وأشارت إلى غرفة تبعد بضع خطوات.

وتصادف أنني غادرت مكانني بعد لحظات؛ لأبتعاث شيئاً من المرطبات.. ومررت بالمكتب الذي وأشارت إليه المضيفة.. وجدت على بابه لافتة كتب عليها "مكتب المراقبة" .. وفي نفس اللحظة فتح الباب وخرج منه السيد "روبرت" .. أنا وائقة الآن بأن هذا الذي خرج من المكتب هو السيد "روبرت" الزائف، أما السيد "روبرت" الحقيقي، فإن قاتليه كانوا في انتظاره في المكتب المزعوم، فلما دخل فقدوه الرشد بطريقة ما.. وأكبرظن أنهم خذلوه، واحتفظوا به، ثم قتلوه بعد أن عاد السيد "روبرت" الزائف من "بغداد".

- قصة طريفة يا "فيكتوريا" ولكن لا يمكن تصديقها.. خاصة وأنه ليس لديك دليل على أن ...  
- الدليل هو الشامة..  
- آه! الشامة..  
- وهناك دليل آخر.  
- ما هو؟

- اللافتة التي على باب المكتب.. لقد اكتشفت فيما بعد، ونحن في طريقنا إلى المكتب، أن هذه اللافتة قد أزيلت من مكانها.. وثمة أمر آخر. تلك المضيفة التي استدعت السيد "روبرت" للذهاب إلى مكتب المراقبة المزعوم.. لقد رأيتها مرة أخرى في "بغداد" في معهد "غضن الزيتون" عندما ذهبته إليه لأول مرة. إنها وصلت حين كنت أتحدث إلى الدكتور "راتيون". وعندما غادرت مكتب الدكتور رأيتها تتحدث مع "كاترين". وأحسست وقتئذ بأنني رأيتها من قبل.. الآن

- تذكرت كل شيء.. وصمنت لحظة ثم استطردت قائلة :  
- صدقني يا "إدوارد" إن ما ذكرته لك الآن ليس حلمًا ..  
- فهزَ الشاب رأسه وقال :  
- أريدك أن توثقي صلتك بهذه الفتاة .. فإننا عن طريقها نستطيع أن نعرف  
الكثير .. تملقيها واعملني على كسب صداقتها ، وتظاهرني بأنك تشارطينها آراءها  
وعقائدها .. ثم حاولي أن تعرفي من هم أصدقاؤها ، ومن هم الذين تتردد عليهم  
في الخارج .  
- ليس أيسر من ذلك ، سأحاول .. ولكن حدثني هل أطلع "داكن" على كل ما  
ذكرته لك الآن ؟  
- بالتأكيد ، ولكن يحسن أن تنتظري يوماً أو يومين فقد تكتشفين خلال هذه  
الفترة شيئاً جديداً .

\*\*\*\*\*

- كانت "فيكتوريا" راضية عن نفسها كل الرضا بعد اكتشافاتها الأخيرة ، فلم  
يشق عليها في اليوم التالي أن تلطف "كاترين" وتمارحها على الرغم مما تضمره لها  
من حقد وكراهة .  
وقد بدأت حديثها مع "كاترين" بأن سألتها عما إذا كانت تعرف حلاقاً موثقاً  
به ، يغسل شعرها ويصففه . ورمقتها "كاترين" بنظرة فاحصة . ثم قالت :  
- أرى من شكل شعرك أنك كنت خارج المدينة أمس في أثناء العاصفة الرملية .  
فاجابت "فيكتوريا" :  
- الواقع ، إنني استأجرت سيارة ذهبت بها إلى خراب "بابيل" ، وعند العودة  
هبت عاصفة رملية شديدة خُلِّي إليَّ معها أني سأفقد البصر ، أو سأموت  
اختناقًا .. فقالت "كاترين" :  
- إنني أصفف شعري عند فتاة أرمينية بارعة ، وأنا على استعداد لأن أذهب بك  
إليها الليلة إذا شئت .

— لقد كنت دائمًا أعجب بشعرك، ولطالما تساءلت ترى ماذا تفعلين به لكي  
يبدو في هذا الجمال...؟

كانت تكذب بجرأة، ولكن كذبها أدخل السرور على نفس "كاترين" فلم  
تتمالك نفسها من الابتسام..

وفي المساء، غادرت الفتاتان المعهد، واجتازتا بعض الأزقة والدروب. ثم وصلتا  
أخيراً إلى باب صالون للحلاقة..

وكانت الآنسة "إنكوميان" الارمنية صاحبة الصالون تتكلم الإنجليزية ولكن  
ببطء شديد. فأدخلت "فيكتوريَا" إلى غرفة كل ما فيها نظيف وأنيق.. وسكتت  
على شعرها سائلاً تحول بعد قليل إلى فقاعات صابون.. وبعد أن عالجت خصلات  
الشعر بأصابعها قالت:

— والآن.. ضعي رأسك تحت الصنبور، وشعرت بالماء ينهر على شعرها فجأة،  
اشتمت رائحة نفاذة ذكرتها بالمستشفيات، وفي ذات اللحظة أحست بشيء مبلل  
يوضع فوق أنفها فحاولت أن تقاوم وأن تحرك رأسها، فلم تستطع، وخيل إليها أن  
يداً من حديد تضغط شيئاً على أنفها بقوة لا تقاوم وما هي إلا لحظة حتى غابت  
عن وعيها..

## الفصل الثامن عشر

عندما أفاقت "فيكتوريَا"، كان ذهنها ملبداً بذكريات مضطربة غير واضحة،  
تذكرت مثلًا أنها أحست في وقت ما بأنها القيت في سيارة مع أشخاص كانوا  
يتناقشون باللغة العربية، وأنها وُضعت بعد ذلك في فراش، وسلطت على عينيها  
أضواء قوية، ثم كشف بعضهم عن ذراعها وغرز فيها إبرة فغابت عن وعيها مرة  
أخرى..

إنها الآن واثقة بأنها في تمام وعيها. ولكن ماذا حدث لها قبل ذلك؟ حاولت أن  
تستجمع أفكارها وتذكرت خرائب "بابل"، والشمس المحرقة والعاصفة الرملية،

و "كاترين" التي رافقتها إلى صالون امرأة أرمينية تغسل شعرها بالماء. ثم تذكرت تلك الرائحة النفاذة. كانت رائحة "كلوروفورم" بغير شك، ولكن ماذا حدث لها بعد ذلك؟

ووجدت نفسها ممددة على فراش شديد الصلابة، ورأسها يكاد ينفجر من الصداع.. وُخِيلَ إليها أن كل شيء يدور حولها.. وأن الأفضل لها أن تكف عن التفكير وتحاول أن تنام.. وعندما استيقظت، أحسست بأنها أحسن حالاً، وكان الوقت نهاراً، فاجالت البصر حولها ووجدت أنها في غرفة صغيرة أرضها من الطين، وليس بها من الأثاث سوى الفراش ومائدة عرجاء عليها آنية من الصفيح. ووقع بصرها في الجدار على نافذة صغيرة فاسرعت إليها، وأطلت منها، واكتشفت أن غرفتها تقع في الطابق الثاني من مبني تحيط به أشجار الكافور والنخيل.. وتقدمت من الباب، وعالجته ووجده مغلقاً، ومتيناً. فعادت إلى الفراش وجلست على حافته. ترى أين هي الآن؟ من الحق أنها ليست في "بغداد" .. وماذا يراد بها؟

وهنا تذكرت حديث السيد "داكن" حين نصح لها بـالمحاولة القيام بدورة البطلة.. ولم تتمالك نفسها من الابتسم. لا شك في أنها أفضت بكل ما تعلمه وهي تحت تأثير المخدر. شيء واحد أثلج صدرها.. هو أنها لا تزال على قيد الحياة!! إن كل ما تستطيع أن تفعله الآن.. هو أن تتجلد حتى يأتي "إدوارد" لإنقاذه.. ترى ماذا سيفعل "إدوارد" حين يكتشف اختفاءها؟ هل سيذهب إلى "داكن"؟ أو سيؤثر معالجة الأمر بمفرده؟ وهل سيرتاب في "كاترين"؟ وأضناها التفكير دون أن تجد جواباً لواحد من هذه الأسئلة..

الواقع.. أن كل شيء يتوقف على "إدوارد" .. إنه لطيف ووسيم ولكن هل هو ذكي؟

إن السيد "داكن" رجل مفرط الذكاء ما في ذلك شك، ولكن هل سيعمل للبحث عنها؟ إنها لا تعني شيئاً بالنسبة إليه. مجرد عميلة. ضمن آلاف العملاء.. جميعهم يجازفون وي تعرضون للأخطار والمهالك.. فإذا سقط أحدهم كان ذلك من سوء حظه.. وكل ما كانوا يفعلونه هو أن يزيلوا اسمه من قائمة العملاء. كلا.

إن "دakan" لن يحرك ساكننا للبحث عنها وإنقاذهما. ثم إنه سبق أن حذرها، وكذلك حذرها الدكتور "راتبون".

ووجأة، سمعت وقع أقدام تقترب. وحركة مفتاح في القفل، ثم فتح الباب، ودخل رجل عربي يحمل صينية حافلة بطبقات الطعام، فوضع الصينية أمامها، ونظر إليها وهو يبتسم، وقال لها كلاما باللغة العربية لم تفهمه ولكن حركة يده كانت تعني: تناولي الطعام.. ثم غادر الغرفة وأوصد الباب بالفتح. وفحصت "فيكتوريما" الطعام باهتمام، كان يتالف من الأرز والملفوف (الكرنب) والخبز عدا إناء للماء فاقبليت عليه تلتهمه بنهم. ولما فرغت من تناول طعامها، أحست بالراحة، وبدأت تفكّر من جديد. لقد خدروها واختطفوها.. ولكن متى حدث ذلك؟

كان ذلك في إحدى الأمسيات.. منذ يومين أو ثلاثة أيام.. أو ربما أكثر.. ومرت الساعات بطبيعة مملة.. ثم فتح الباب مرة أخرى ودخل حارسها حاملا صينية الطعام، وتبعته امرأتان محبجتان وقفتا على عتبة الباب. وراحتا تنظران إليها في فضول وتبدلان الملاحظات وتتضاحكان.

ولكن الحارس لم يلبث أن أومأ إليهما بالانصراف، ثم وضع الصينية أمام "فيكتوريما"، وحمل الصينية الأولى.. ومضى إلى الباب. وقبل أن ينصرف، استدار إلى "فيكتوريما" وقال:

— باكر.. باكر.. وكانت "فيكتوريما" تعرف هذه الكلمة.. إنها تعني غدا. إذن فسيحدث شيء غدا.. ولكن ماذا؟

هناك احتمالان لا ثالث لهما: إما أنها ستسترد حريتها غدا، أو أنها ستفقد حياتها.. وتنت متى جاء الغد أن تكون في مكان آخر. ولكن هل يمكن ذلك؟ ولأول مرة، بدأت تفكّر من جديد في الفرار.. واقتربت من الباب. لم يكن القفل من النوع الذي يمكن فتحه بدبوس الشعر. أما النافذة فكان يسهل الفرار منها. بشرط ألا تحدث ضوضاء.. ولكن العقبة الوحيدة هي أن الوثوب من ارتفاع خمسة أمتار قد يؤدي إلى كسر ساقيها.

لقد جرت العادة في القصص أن تصنع البطلة حبلاً من أغطية الفراش تتدلى به من النافذة، ولكن من سوء الحظ أن فراش "فيكتوريًا" لم يكن عليه أغطية. ولكنها لم تفقد شجاعتها، وصممت على الفرار، كانت تعلم أن حراسها أنساب سبطاء لا يخطر لهم ببال أن امرأة سجينه في غرفة مغلقة يمكن أن تجد طريقة للفرار. أما أعداؤها الخطيرون الذين اختطفوها، فإنهم ليسوا في ذلك البيت، ولكنهم سيأتون غداً.

قالت تحدث نفسها: «والنتيجة.. هي أن الفرار يجب أن يتم اليوم.. فلنبدأ الآن بتناول طعام العشاء. وكان الطعام يتالف من الأرز واللحم. والبرتقال، فالتهمت ذلك كله التهاماً.. وعندما أرادت أن تشرب جرة من الماء. ارتطمت يدها بالإماء فانقلب وسال بعض ما كان فيه على المائدة وسقط على الأرض، ولما كانت الأرض من الطين فقد أحدث فيها الماء حفرة صغيرة..»

وهنا واتتها الفكرة قالت لنفسها: «إن كل شيء يتوقف على المفتاح. فإذا كان المفتاح في القفل أمكن عمل شيء».. وكان الليل قد أرخى سدوله فنظرت من ثقب القفل، ووجدت المفتاح. ولكن لابد لها من شيء صلب تدفع به المفتاح ليسقط في الجانب الآخر. ولكن من أين لها ذلك الجسم الصلب، لقد أخذوا حقيبتها، وكان فيها قلم رصاص يصلح لهذه المهمة ومن حسن حظها أن وقع بصرها في تلك اللحظة على حذائها فخلعته، وانتزعت منه قطعة الجلد التي تغطي نعله من الداخل، وبرمتها حتى استدارت كالقلم. ثم وضعتها في ثقب القفل.. وأسقطت المفتاح في الجانب الآخر من الباب. ولم يحدث سقوط المفتاح صوتاً يمكن ملاحظته.. فقد سقط على أرض من الطين. قالت لنفسها وقلبها يرکض بين ضلعوها: «يجب أن أعمل بسرعة قبل أن يسود الظلام فلا أرى شيئاً..» وتناولت الإناء.. وسكبت بعض الماء عند عتبة الباب، واستعانت بالملعقة في حفر الأرض تحت الباب، حتى أحدثت فجوة دست فيها ذراعها والتقطت المفتاح..

وكفت عن الحركة لحظة لتلتقط أنفاسها، ثم وضعت المفتاح في القفل بهدوء، وأدارته.. ففتح الباب.. وأصاحت السمع، ولكنها لم تسمع سوى نباح الكلاب.

وغادرت سجنها لتجد نفسها في غرفة أخرى كان بابها مفتوحاً.. فأطلت من الباب ورأت درج السلم. يجب الآن أن تخلد إلى الهدوء حتى يهبط الظلام.. ويستغرق الجميع في النوم.. وحانة منها التفاتة فرأت في أحد أركان الغرفة عباءة سوداء قديمة.. فتناولتها.. وتذرت بها لتخفي ثيابها وشخصيتها.

وانتظرت طويلاً حتى انتصف الليل، فتسليت إلى الخارج وأوصدت باب غرفتها وتركت المفتاح في القفل، وهبطت السلم ببطء وبغير جلبة.. ومرت بغرفة ينبغى منها غطيط، لعله غطيط الحارس وما هي إلا لحظة حتى كانت تعبير الحديقة وتنطلق بعيداً عن سجنها. وأطلقت ساقيها للريح في طريق وعر لا تعرف إلى أين يؤدي. كان كل همها أن تبتعد عن القرية وعن سجينيها. وبعد أن تقطعت أنفاسها، وأحسست بأنها أصبحت في مأمن من المطاردة، بدأت تتمهل في سيرها، وتفكر فيما ينبغي عليها أن تفعله.

وبزغ الفجر أخيراً فصعدت تلّاً صادفها، ووقفت على قمته وأجالت البصر حولها.. وراغها منظر الصحراء في الشفق، وجمال الكون في ضوء النهار المنبعث، وأحسست بالخوف والرهبة من السكون والفراغ اللذين يحيطان بها، وهمت في لحظة ما بأن تعود أدراجها لعلها تلتقي بِإنسان.. أي إنسان !!

ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها واستردت رباطة جأشها.. حينما فكرت مليأً في أمرها.. أدركت أنها لم تنج تماماً من أعدائها، وأن المسافة التي قطعتها سيراً على قد미ها في الظلام، يستطيعون هم في وضع النهار أن يقطعوها بالسيارة في دقائق..

وكان التعب قد برح بها، فالتفت جيداً بالعبارة وأرختها على وجهها لكي تبدو كالبدويات، وجلست على قمة التل طلباً للراحة وترقباً للطريق.. حتى إذا رأت سيارة مقبلة سارعت إلى اتخاذ الإجراءات التي تناسب الموقف. وغلبها التعب فاستغرقت في النوم وعندما استيقظت كانت الشمس تستطع في كبد السماء.. وشعرت بالظلماء فبللت شفتيها الجافتين بلسانها. وعندئذ طرق أذنها صوت محرك سيارة، فنظرت حولها في كل اتجاه.. ورأت السيارة من بعيد نقطة سوداء في

بحر الرمال. ولم تكن السيارة قادمة من ناحية القرية، ولكن أكبر الظن أنها كانت تقصد إليها..

واختفت السيارة وراء نشر من الأرض، ثم عادت إلى الظهور، واقتربت من التل الذي تقف "فيكتوريا" على قمته فتبينت "فيكتوريا" أن سائق السيارة رجل عربي، وأن شخصا آخر يجلس بجواره ويبدو أنه أوربي. وترددت "فيكتوريا" بين أن تسارع إلى السيارة فتحتمي براكبها، أو أن تتوارى خوفاً من أن يكونا من أعدائها..

وكانت السيارة تتقدم في مرو مطروق.. ولكنها لم تلبث أن غيرت اتجاهها فجأة. فخرجت من الممر وانحرفت نحو التل، حيث كانت "فيكتوريا". ولا شك في أن الرجلين قد أبصراها.. وبلا تردد، انبطحت على الأرض وحبست أنفاسها وبعد لحظة، توقف محرك السيارة، فسمعت الفتاة كلاما باللغة العربية. ثم ساد الصمت.. وجاذفت "فيكتوريا" ورفعت رأسها بحذر، فرأى الرجل الأوروبي يصعد التل ويتوقف بين الفينة والأخرى لالتقطاط شيء. وكان من الواضح أنه لا يعلم بوجودها. ولا يهتم بأمرها وكان واضحًا كذلك أنه إنجليزي فتنفست الصعداء.. ونهضت واقفة.. وأسرعت إلى مقابلته وهي تقول:

ـ ليتك تعلم كم أنا سعيدة بقدومك. فرفع الرجل رأسه في دهشة وهتف:  
ـ ماذا تصنعين هنا بحق السماء! ولكن هل أنت إنجليزية؟ فانفجرت ضاحكة وقالت وهي تخلص من عباءتها:

ـ نعم. فهل تستطيع الذهب بي إلى "بغداد"؟

ـ أنا قادم منها.. ولكن ماذا تفعلين هنا في قلب الصحراء؟

ـ لقد خدرت واختطفت، وعندما أفقت، وجدت أنني سجينه في قرية هناك.. وأشارت بإصبعها نحو القرية: فقال الشاب:

ـ في قرية "مندلي"؟

ـ ربما كان هذا اسمها.. إنني فررت منها تحت جنح الظلام، وقضيت الليل كله هائمة على وجهي في الصحراء.. وتواريت عندما رأيت السيارة خوفاً من أن تكون

من الأعداء. وأصغى إليها الرجل في هدوء. كان طويلاً القامة، أشقر الشعر، لا تتجاوز سنه الخامسة والثلاثين.

ونظر إليها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، ثم قلب شفته. وبدا عليه كأنه لا يصدق كلمة واحدة مما سمع.. لاحظت "فيكتوريا" ذلك وصاحت في غضب:

– تلك هي الحقيقة !!

– لكنها حقيقة أغرب من الخيال .. فأسقط في يد الفتاة لطالما كذبت فصدقها الناس. أما الآن وهي لا تذكر إلا الحقيقة فإن الرجل لا يريد أن يصدقها. قالت:

– الشيء المؤكد. هو أنني سأموت ظماناً إذا لم تسعنوني بجرعة ماء.. سأموت ظماناً كذلك إذا أنت تركتني هنا.

فقال الغريب في هدوء:

– ليس من المألوف أن تهيم إنجلizية على وجهها في الصحراء. إن شفتيلك جافتان فعلاً.. ثم نادى سائق السيارة بقوله:

– يا "عبد الله".

– نعم يا سيدي.

واقترب السائق من سيده، فأصدر هذا أمراً باللغة العربية، وأسرع السائق إلى السيارة وعاد بزجاجة ماء وكوب. وشربت "فيكتوريا" حتى ارتوت وقالت:

– أشعر الآن بأنني أحسن حالاً. ورأى الإنجليزى أن الوقت قد حان ليقدم نفسه فقال:

– أنا أدعى "ريتشارد بيكر".

– وأنا "فيكتوريا جونز" .. وأرادت أن تثير اهتمام محدثها فاستطردت قائلة:

– "فيكتوريا بونسفوت جونز". وقد جئت إلى "بغداد" للحاق بعمي الدكتور "بونسفوت جونز". رئيس بعثة الآثار. فهتف الشاب وهو ينظر إليها في دهشة:

– يا لها من مصادفة عجيبة! أنا أيضاً في طريقي لمقابلته، إنه في مكان يبعد عن هنا نحو أربعة وعشرين كيلومتراً.

فانهارت "فيكتوريا" ولم تقو على الكلام. وتبعته إلى السيارة دون مناقشة. قال

لها بعد أن جلست في المقعد الخلفي :

- أعتقد أنك تخصصت في علم الأجناس البشرية، لقد قيل لي إنك ستائين، ولكنني لم أظن أنك ستائين بهذه السرعة. وأخرج من جيبه قطعاً من الخزف التقطها من التل وقال :

- إنه تل عجيب مليء بآثار الأقدمين. ولكن كل ما به من بقايا الأولى الخزفية يرجع عهده إلى الآشوريين .  
وابتسם واستطرد قائلاً :

- يسرني أنك على الرغم من متابعيك، قد ساقتكم هوایتك للآثار القديمة إلى هذا التل.

ولكن "فيكتوريا" لزمت الصمت ولم تجب. كانت تفكر في موقفها. لا شك في أن أمرها سيفتضح حالما تصل إلى مقر البعثة .. وراودتها فكرة الاعتراف بالحقيقة فوراً. ولكنها خشيت أن يتركها "ريتشارد بيكر" في الصحراء، وآثرت أن تعرف للدكتور "بونسفوت" شخصياً على الرغم من أنها لم يسبق لها أن رأته، أما "ريتشارد بيكر" هذا فإنه لن يصدقها حتى ولو قالت الحقيقة. وكان "بيكر" قد جلس بجوار السائق فتحول إليها وقال :

- اطمئني .. فلن أعود بك إلى "مندللي".

انحرفت السيارة عن الممر المطروق، وبدأت تشق طريقها في الصحراء .. وكان "بيكر" يصدر تعليماته للسائق بالاتجاه يميناً أو يساراً. مسترشداً في ذلك بآثار لا تكاد ترى لعجلات سيارة سلكت الطريق من قبل.

ومرت السيارة بعربيين يحمل أحدهما منضدة صغيرة، ويحمل الآخر صندوقاً متوسط الحجم فاستوقفهما "بيكر". واغبط الرجال بذلك ... وهروا إليه، وتقبلوا شاكرين لفافات التبغ التي قدمها إليهما.

والتفت "بيكر" إلى "فيكتوريا" وسالها :

- هل تحبين السينما؟

- بالتأكيد ..

- غادر السيارة إذن وستشاهدين السينما. فأطاعت وهي مشدوهة، بينما وضع العربي المنضدة على الرمال ، ووضع زميله الصندوق .. ونظرت من خلال عدسة بجدار الصندوق . وشرع أحد الرجلين في إدارة "مانيفيلا" متصلة بالصندوق بينما راح الآخر يتكلم بعبارات مبهمة. فقالت "فيكتوريا" تحدث "بيكر" :  
- ماذا يقول هذا الرجل؟ فأجاب "بيكر" :

- إنه يشرح الصور باللغة العربية، وسأقوم بالترجمة الفورية وبدأ الترجمة، فقال:  
- تعال وانظر عجائب الدنيا منذ بدء الخليقة حتى وقتنا هذا.. ورأينا "فيكتوريا" من خلال العدسة صورة مرسومة بطريقة بدائية، تمثل الزنوج وهم يعملون في حقول القطن. وقال "بيكر" يترجم كلمات العربي:  
- الحياة في "أمريكا". وتغيرت الصورة:

- زوجة ملك العالم الغربي تصف شعرها. وتعاقبت الصور، برج "إيفل" ..  
البرنس "أبرت" ، شواطئ "النرويج" ، الانزلاق على الجليد في "سويسرا" .. وقال "بيكر" يترجم كلام العربي:

- قد عرضنا عليك أعجب ما في الدنيا.. ونرجو أن يكون ما شاهدته قد حاز رضاك. ونهضت "فيكتوريا" وهي تقول:

- هذا رائع حقاً. ومنح "بيكر" العربين بعض النقود، وتبادل معهما حديثا طويلا باللغة العربية، ثم انصرف الرجال فقللت "فيكتوريا" :

- إلى أين يقصدان؟ فأجاب "بيكر" :

- إلى كل مكان، لقد رأيتهما لأول مرة في شرق "الأردن" ، وكانا قادمين من البحر "الميت" وهما يقصدان الآن "كريبلاء" وهو عادة يجتازان الممرات غير المطروقة لزيارة القرى النائية بعيدة عن المدينة والحضارة.

- لا شك في أنهم يلتقيان بين وقت وآخر من يصطحبهما معه في سيارته فيوفر عليهما مشقة الطريق. فأجاب "بيكر" وهو يوضحك:

- إنك تفكرين بالأسلوب الأوروبي. إن الناس هنا لا يتعجلون الأمور، والوقت بالنسبة إليهم لا يعني شيئاً. ومضت السيارة في طريقها، وبعد فترة قصيرة قال "بيكر" :

– لقد اقتربنا.. فنظرت "فيكتوريا" أمامها، ورأت تلاً ينهض عند سفحه بيت منخفض مشيد بالطوب..

ووقفت السيارة أخيراً أمام البيت، وهرول بعض الخدم في جلابيهم البيضاء لتحية القادمين والترحيب بهم. فتبادل معهم "بيكر" بعض العبارات ثم قال يحدث "فيكتوريا":

– يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَوَقَّعُوا قَدْوَمِكَ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ، وَلَكِنْ لَا أَهْمَى لِذَلِكِ.. إِنَّهُمْ سَيَعْدُونَ لَكَ فَرَاشًا وَمَاءً سَاخِنًا لِلاغْتِسَالِ، وَفِي اسْتِطاعَتِكَ أَنْ تَنْعَمِي بِبَعْضِ الرَّاحَةِ رَبِّيَاً يَحْضُرُ الدَّكْتُورُ "بُونِسْفُوتُ جُونِزُ". إِنَّهُ الآنُ فِي التَّلِّ وَسَالِقُهُ.. وَسَيَعْنِي بِكَ "إِبْرَاهِيمْ".

وتقى المدعى "إبراهيم" وعلى شفتيه ابتسامة عريضة، اقتادها إلى داخل البيت، فمررت بقاعة فسيحة انتشرت فيها بعض الموائد القديمة، ثم بدهليز طويل ينتهي بباب يؤدي إلى فناء صغير. وفي الجانب الآخر من الفناء غرفة صغيرة ينفذ إليها الضوء من كوة في الجدار، وأجالت "فيكتوريا" البصر في جوانب الغرفة ورأت فراشاً، ودولاباً سيئي الصنع، ومائدة، ومقعداً، وإناء ماء. وبعد قليل حمل إليها "إبراهيم" – وهو يبتسم – وعاء مليئاً بالماء الدافئ.. ومرة صغيرة ثبّتها بمسمار في الجدار.

وأحسست "فيكتوريا" بالارتياح إذ ستيّاح لها أن تفتسل وتتزين وتصفف شعرها. ونظرت في المرأة.. فذهلت. لم تعرف نفسها.. كانت قسمات وجهها على حالها لم تتغير.. أما شعرها فقد أصبح لونه ذهبياً حائلاً..

## الفصل التاسع عشر

ذهب "بيكر" للقاء الدكتور "بونسفوت جونز"، فوجد العالم الأثري الكبير يعمل بنفسه في خندق بالحفائر، وبيده معلول يدق به أحد الجدر في حرص وحذر شديدٍ. ولم يدهش الرجل عندما رأى مساعدته الشاب. قال ببساطة: – أهذا أنت يا فتى؟ لا أعلم لماذا كنت أعتقد أنك لن تعود قبل يوم الثلاثاء..

- هل أنت واثق؟ ولم ينتظر العالم الآخر الشیخ الإجابة ومضى يقول:  
- اقترب يا فتی؛ لأنني أريد أن أعرف رأيك في هذا.. لقد بدأ الجدار يظهر على  
الرغم من أننا لم نحفر أكثر من مترين، ويُخْبِلُ إِلَيْيَّ أنني أرى عليه آثار نقوش.  
تعال وانظر..

فوثب "بيكر" إلى الخندق.. وبدأ بين الرجلين حوار فني بحث استغرق زهاء رب  
الساعة وأخيراً قال "بيكر":

- الواقع، أنني عدت ومعي إحدى الفتیات.

- إحدى الفتیات؟ ومن هي؟

- تقول إنها ابنة أخيك.

- ابنة أخي؟ وحاول الرجل أن ينسى حفرياته ويركز تفكيره ثم قال:

- لا أذكر أن لي ابنة آخر.. قال ذلك بلهجة تدل على أنه غير واثق. ربما كانت له  
ابنة آخر غابت عن ذاكرته.. قال "بيكر":

- يبدو مما فهمته أنها جاءت لتعلّم معي. فانبسطت أسارير عالم الآثار وهتف:

- آه! تذكري.. لابد أنها "فيرونيكا".

- يخيل إليّ أنها قالت إن اسمها "فيكتوريا".

- نعم.. نعم.. "فيكتوريا". لقد كتب لي "إيمeson" بشأنها.. "إيمeson"  
الأستاذ في جامعة "كمبردج" .. يبدو أنها فتاة موهوبة تخصصت في علم  
الاجناس البشرية.. ولست أدری في الواقع معنی اهتمام إنسان بعلم كهذا.

- ولكن ألم تكن في انتظار فتاة تخصصت في هذا العلم؟

- نعم. ولكنني لم أكن أتوقع قدومها بهذه السرعة. فليس لدينا الآن شيء في  
دائرة تخصصها يمكننا أن نقدمه إليها.. فهمت من رسالة "إيمeson" أنها لن تحضر  
قبل أسبوعين.. ولكن يبدو أنني قرأت الرسالة بسرعة.. ثم ضاعت فلم ألم  
بضمونها تماماً.. وعلى كل حال يمكننا الإفاده من الفتاة في تسجيل قطع الخرف  
التي عثرنا عليها وهي كثيرة ومن عصور مختلفة.

- هذه الفتاة.. أليست على شيء من غرابة الأطوار؟

- غرابة الأطوار؟! ماذا تعني؟

- ألم تصب مثلاً بمرض عصبي.. أو بشيء من هذا القبيل؟

- قال لي "إيمeson" في رسالته إنها أرهقت نفسها في الاستعداد للامتحان النهائي.. لكنه لم يذكر شيئاً عن إصابتها بمرض ما.. لماذا تسأل؟

- لأنني التقطتها من مكان مهجور في الصحراء.. كانت هناك وحدها.. فوق ذلك التل الذي توقفت أنت عنده في العام الماضي. وقد قصت عليّ قصة عجيبة. قالت إنها ذهبت إلى صالون للحلاقة فخدروها هناك، ونقلوها إلى قرية "مندلي"، وحبسوها في منزل هناك. ولكنها استطاعت الفرار في منتصف الليل.. الواقع أنني لم أسمع في حياتي قصة أبعد عن التصديق كهذه القصة التي روتها لي.

- فهز الدكتور "بونسفوت" رأسه موافقاً فقال:

- حقاً. إنها لا تصدق. خصوصاً وأن الأمان يسود كل مكان في هذه البلاد.

- وهذا رأي أيضاً، لقد كنت واثقاً بأن القصة كلها محض اختلاق، ولذلك أتساءل عمّا إذا كانت هذه الفتاة مصابة بمرض عصبي أو نفسي.. وهل هي من طراز الفتيات اللائي يزعمن أنّ القس طارحهن الحب أو أن الطبيب اعتدى عليهن؟ فلو كانت كذلك لاثارت لنا متابع نحن في غنى عنها. فقال "بونسفوت" بلهجة المتفائل:

- اطمئن، فلسوف تهدأ.. أين هي الآن؟

- في غرفة الضيافة. ثم استطرد بعد تردد:

- لقد جاءت بدون بيجامة..

- أحلاً تقول؟ لا شك في أنها تتوقع أن أعييرها بعض ثيابي.. إنني لا أملك سوى بيجامتين إحداهما مهلهلة. يا إلهي!! ما أعجب فتيات هذا الزمن! وجدت "فيكتوريَا" الدكتور "بونسفوت" يختلف تماماً عما تخيلته.. رأت أمامها رجلاً قصير القامة، يمبل إلى البدانة، نصف أصلع. ولشد ما كانت دهشتها حين رأته يبسط لها يديه ويقول:

- طاب يومك يا "فيرونيكا" .. أعني يا "فيكتوريَا" .. إنني سعيد برؤيتك ..

ومندهش.. فقد كنت أتوقع حضورك الشهر القادم. ولكنني سعيد بوجودك معنا على كل حال. ألا يزال "إيمرسون" يعاني ضيق التنفس؟ فأجابت "فيكتوريما" بصوت حاولت أن يبدو ثابتاً:

- إنه أحسن حالا.

- إنه يبالغ في تغطية عنقه. وقد قلت له ذلك مراراً، كل الجامعيين يسرفون في لقلفهم على صحتهم ولكن لنتحدث عنك.. قال لي "ريتشارد" إنك فقدت أمتعتك.. فماذا ستفعلين؟ إننا لن نستطيع إرسال السيارة إلى المدينة قبل ثمانية أيام. ثم ابتسם وقال:

- إبني و "ريتشارد" لا نملك شيئاً يستحق الذكر، كل ما نستطيع إعارتك إياه هو فرجون "فرشة للأستان" وحذاء وبعض المناديل. فابتسمت "فيكتوريما" بدورها وقالت:

- اطمئن، سأتصرف..

- وثمة شيء آخر.. إننا لم نكتشف بعد مقابر تساعدك على ممارسة اختصاصك كباحثة في علم الأجناس البشرية.. بيد أن لدينا أعمالاً كثيرة يمكن أن تشغل كل وقتك.. هل تجدين التصوير الفوتوغرافي؟

- نعم..

- هذا حسن.. من المحقق أننا سنفيد منك كثيراً.

وبعد الغداء ذهب بها "إبراهيم" إلى مخزن مقتنيات البعثة، فأخذت مما فيه من أدوات ما يمكن أن يفيدها شخصياً، ثم عادت إلى غرفتها وتمددت في فراشها وراجت ترتب أفكارها. لم يكن هناك شك في أنهم يظنونها فتاة أخرى.. تدعى "فيرونيكا" تعمل باحثة في علم الأجناس البشرية.. وكان الدكتور "بونسفوت" ينتظر حضورها.

ولكن ما هو علم الأجناس البشرية؟ لا بأس.. إنها سوف تبحث في أحد القواميس.. للتزويد بالمعرفة.. إن "فيرونيكا" هذه لا ينتظرك قدوتها قبل ثمانية أيام.. إذن فهي تستطيع أن تعيش هذه الأيام الشمانية في طمأنينة.

إن الدكتور "بونسفوت جونز" رجل طيب القلب، كثير النسيان، فليس ثمة خطير منه.. أما "ريتشارد بيكر" فإنه يختلف عن أستاذه، إنها لا تحب عجرفته.. ولا طريقته في الحملقة إليها كمن يريد أن يتغلغل في أعماقها ويعرف دخلية نفسها.

إن من حسن الحظ أنها عملت وقتاً ما ككاتبة اختزال في معهد الآثار في "لندن". فعرفت كثيراً من الاصطلاحات الأثرية التي تستطيع الآن استخدامها والتستر وراءها.

إن الراحة خلال الأيام الشمانية القادمة سوف تساعدها على التقاط أنفاسها وتحديد موقفها.. وفكرت في "غضن الزيتون" لا شك في أنهم يتساءلون هناك الآن عن مصيرها، أما أعداؤها فمن المؤكد أنهم سيظلون أنها ضلت طريقها في الصحراء وهلكت جوعاً وظماً.. ولن يخطر في بالهم أنها انضمت إلى بعثة الدكتور "بونسفوت" في حفائر "التل الأسود".

ومن المخزن أن يعتقد "إدوارد" مثل ذلك.. إنه لا يستطيع عمل شيء.. ولكنه إذا علم بطريقة أو بأخرى بـ"كاترين" يدا فيما أصابها، فإنه سوف يظل نهبا للقلق ووخز الضمير؛ لأنه هو الذي ألح عليها في أن توطد صداقتها بهذه الفتاة.. على أنها ما لبشت أن ابتسمت حين تصورت دهشته عندما يرى شعرها الذهبي.. ولكن لماذا صبغوا شعرها؟ لابد أن لذلك سبباً.. ولكن ما هو؟



ولم تلبث "فيكتوريما" خلال الأيام القلائل التالية أن اكتشفت أن الحياة مع بعثة أثرية لا تخلو من الطرافة والإثارة.. كانت تقضي كل أوقات فراغها في التهام الكتب المحفوظة في مكتبة البعثة. وكانت تقتصر في الكلام ما أمكنها الاقتصاد تجنبًا للزلل. وتأقلمت مع حياتها الجديدة، كانت تستيقظ من نومها في وقت متأخر، وتتناول الفطور ثم تذهب إلى الحفائر للتصوير، أو ترتيب قطع الآثار وتنسيقها وفقاً للعصور. وكان أكثر ما تخافه أن يكتشف "بونسفوت" مقبرة

ويطلب إليها فحص محتوياتها من هيكل وجمامج باعتبارها باحثة في علم الأجناس البشرية.. ولكنها قررت إذا حدث ذلك أن تتصنع المرض وتزعم أنها مريضة بالكلم.. ولكنها لم تضطر إلى ذلك.. فإن الدكتور "بونسفيوت" لم يكتشف سوى جدر قصر قديم أخذت تظهر شيئاً فشيئاً وهو كشف شد اهتمامها بطريقة لم تتوقعها. ولاحظ "بيكر" حماستها فقال لها وهو يبتسم:

– لقد كنت متھمساً مثلك عندما اشتراكْتُ في أعمال الحفر لأول مرة.

– هل كان ذلك منذ وقت طويل؟

– منذ نحو خمسة عشر عاماً.

– لابد أنك تعرف هذه البلاد جيداً.

– أعرف هذه البلاد وغيرها.. أعرف "العراق" "سوريا" و"إيران".

– إن من يسمعك تتكلم العربية يظن أنك من أهل هذه البلاد.. إنه لا ينقصك سوى الثياب لتبدو عربياً. ولكنه هر رأسه وأجباب:

– لا أعتقد أن هناك إنجليزياً استطاع أن يقنع الآخرين بأنه عربي.

– هناك العقيد "لورنس"؟

– ربما، ولكنه لم يكن مقنعاً، أنا شخصياً لم أعرف سوى رجل واحد أمكنه أن يتذكر في زيارته حتى ظن العرب أنفسهم أنه واحد منهم..

لقد عرفت هذا الرجل وهو صبي.. إنه ولد في الشرق وكان أبوه قنصلاً لـ"بريطانيا" في "كاشقار"، فتعلم اللغات الشرقية بكل لهجاتها التي يجهلها الأوروبيون وأعتقد أنه لن ينسى ما تعلم. واستطرد:

– لقد انقطعت صلتي به بعد أن تخرجا في جامعة "أيتون" .. كنا نسميه "الفقير" لأنه كان يقضى الساعات الطوال دون أن يحرك ساكناً أو ينطق بكلمة.

– أحقاً؟!

– لم أعرفه في البداية، فقد كان متذمراً في زيارته، في يده مسبحة وحول عنقه شملة "كوفية" .. ولم ألقه إلا في البداية.. إلى أن لاحظت أن حبات المسبحة تسقط الواحدة بعد الأخرى في فترات منتظمة. وبالأسلوب الذي ترسل به

البرقيات بطريقة "مورس" وفهمت أن الرسالة موجهة إليني...  
وكيف علمت ذلك؟

ـ كان يكرر أسمى، أو على الأصح لقبى ولقبه ويستجدى بي.

ـ ثم نهض واقفاً وسار نحو الباب، وفي نفس اللحظة نهض رجل بدين يبدو كالوكلاء التجاريين، وأخرج مسدساً من جيبه وصوبه نحو صديقى، ولكنى ضربت ساعده بقوة، وبذلك نجا "كارمايكيل".

ـ "كارمايكيل"؟! نطقت "فيكتوريا" بهذا الاسم بلهجـة غريبـة جعلـت "بيكر" يتحول إليها ويحملـق إلى وجهـها. قال:

ـ نعم.. ذلك اسمـه.. هل تعرـفـينـه؟ وتصورـت "فيكتورـيا" دهـشـته حين تقول له:

ـ نـعـم.. وـقـدـ مـاتـ فـيـ فـراـشـيـ.. وـلـكـنـهاـ أـجـابـتـ:

ـ نـعـم.. كـنـتـ أـعـرـفـهـ..

ـ كـنـتـ تـعـرـفـينـهـ؟ هـلـ مـعـنـىـ ذـلـكـ أـنـهـ.. فـأـوـمـاتـ بـرـأـسـهـاـ وـأـجـابـتـ:

ـ نـعـم.. إـنـهـ مـاتـ.

ـ متـىـ؟

ـ مـنـذـ بـضـعـةـ أـيـامـ.. فـيـ "بـغـدـادـ" .. فـيـ فـنـدقـ "تـيوـ" .. وـاسـتـطـرـدـتـ قـائـلـةـ بـسـرـعـةـ:

ـ لـمـ يـذـعـ نـيـاـ مـوـتـهـ.. وـلـأـحـدـ يـعـلـمـ بـهـ.. فـسـادـ صـمـتـ قـصـيرـ، ثـمـ قـالـ "بيـكـرـ":

ـ وـلـكـنـ كـيـفـ.. كـيـفـ عـلـمـتـ أـنـتـ؟

ـ لـأـنـيـ اـشـتـرـكـتـ فـيـ الحـادـثـ مـصـادـفـةـ. فـنـظـرـ إـلـيـهـاـ طـوـيـلاـ، وـكـانـهـ يـطـلـبـ مـزـيدـاـ مـنـ التـفـصـيـلـاتـ وـلـكـنـهاـ قـالـتـ فـجـاءـةـ:

ـ فـيـ الجـامـعـةـ.. هـلـ كـانـواـ يـلـقـبـونـكـ باـسـمـ "لوـسيـفـرـ"؟

ـ "لوـسيـفـرـ"؟! كـلاـ كـانـواـ يـلـقـبـونـنـيـ باـسـمـ "الـبـومـةـ"؛ لـأـنـيـ كـنـتـ أـسـتـعـمـلـ عـوـيـنـاتـ كـبـيرـةـ.

ـ أـلـاـ تـعـرـفـ فـيـ "الـبـصـرـةـ"ـ شـخـصـاـ كـانـ يـطـلـقـ عـلـيـهـ اـسـمـ "لوـسيـفـرـ"؟ فـفـكـرـ قـلـيـلاـ  
وـأـجـابـ:

- كلا.. "لوسيفر" ابن الغجر.. الملّاك الذي هوى.. لقد قرأت هذا الوصف  
لـ"لوسيفر" في إحدى القصائد.

- هل لك في أن تذكر لي بالتفصيل ما حدث في "البصرة"؟

- لقد ذكرته لك.

- أين وقع ذلك الحادث؟

- في قاعة الانتظار في القنصلية.. كنت قد ذهبت إلى هناك لمقابلة "كلايتون".

- من كان معك في قاعة الانتظار؟ "كارمايكل". وذلك الوكيل التجاري. ومن  
أيضاً؟

- شخصان لا أعرفهما.. أحدهما يبدو فرنسيًا، والآخر يبدوا شيخاً إيرانياً.

- وكيف هرب "كارمايكل"؟

- انطلق يعود في دهليز يؤدي إلى مكتب القنصل ثم انحرف يساراً نحو باب  
يؤدي إلى الحديقة.

- أعرف موقع ذلك الباب قد قضيت فترة في القنصلية.. عقب رحيلك مباشرة.

- أحقاً تقولين؟ هذا عجيب. وظل يتغرس فيها.. ولكنها صمدت لنظراته.

وقالت:

- هل كان في القنصلية ضيوف يومئذ؟

- كان هناك شخص يدعى "كروسيبي" يعمل في إحدى شركات البترول،  
وتذكرت "فيكتوريا" الكابتن "كروسيبي"، وتساءلت هل يمكن أن يكون هو  
"لوسيفر"؟ قالت:

- سؤال آخر.. هل يذكر اسم "لافارج" بشيء، فكر "بيكر" طويلاً وأجاب:

- كلا.. هل هو اسم رجل أو امرأة؟

- لا أعلم.

وفي المساء، بعد أن أوت "فيكتوريا" إلى فراشها، طلب "بيكر" من الدكتور  
"بونسفوت" أن يسمح له بإلقاء نظرة على الرسالة التي جاءته من "إيمرسون".  
وقال موضحاً:

– أريد أن أعرف بالضبط ماذا قال في رسالته عن هذه الفتاة؟ فأجاب العالم **الشيخ**:

– المشكلة هي أنني لا أعرف أين وضعت الرسالة «أنا واثق بأنني أحافظ بها في مكان ما، فقد كتبت على ظهرها بعض ملاحظات خاصة بالعمل.. ولكنني أذكر تماماً أن "إيرسون" أطري "فirovnikا" وامتدحها، وأنا شخصياً أجدها فتاة ظريفة.. لقد فقدت أمتعتها ومع ذلك لم تثر أية ضجة. أية فتاة أخرى كان يمكن أن تطلب بإصرار أن نعيدها إلى "بغداد". أما هي فإنها قبلت خسارتها بروح رياضية.. وهذا جميل منها.. ولكن كيف فقدت أمتعتها؟

– قالت إنهم خدروها واحتطفوها.. وسجناها في أحد البيوت.

– آه! هذا صحيح.. إنك ذكرت لي هذه القصة من قبل.

## الفصل العشرون

بعد ظهر اليوم التالي، سمع الدكتور "بونسفوت جونز" صوت محرك سيارة فنظر إلى الصحراء ورأى سيارة قادمة من بعيد فصاح في ضيق:

– ها قد جاء زوارجدد.. كانوا ليس لدي ما أفعله سوى استقبال هؤلاء الحمقى، وأشرح آخر اكتشافاتي في الحفائر. فقال "بيكر":

– هل نسيت "فيكتوريا"؟ إنها تستطيع أن تحمل محلك في هذه المهمة. ولديها من المعلومات ما يهلها للقيام بدور الدليل، أليس كذلك يا "فيكتوريا"؟ فأجبت الفتاة:

– إن معلوماتي قليلة وأخشى التورط في خطأ. فقال "بيكر":

– إنك شديدة التواضع. فالبيانات التي أدينت بها إلى صباح اليوم عن طريقة بناء الجدار الذي اكتشفناه في الحفائر لا تصدر إلا عن أثري ضليع، أو عن مهندس متعرس. فشعرت "فيكتوريا" بالدم يصبح وجنتيها وأجبت:

– مهما يكن من أمر فسأبذل قصارى جهدي.

والواقع أنها هي نفسها كانت في دهشة من الجهد التي بذلتها خلال الأيام الخمسة التي قضتها مع البعثة، حتى استطاعت تصنيف قطع الحزف وتحديد العصر الذي تنتهي إليه كل منها، وتصور نوع الحياة اليومية التي كان يحييها الناس منذ ثلاثين قرناً، وأذهلها أن علماء الآثار لا يهتمون بقصور الملوك والمعابد فحسب كما كانت تتصور، وإنما يهتمون كذلك بحياة الشعوب في مختلف العصور.

كانت "فيكتوريَا" تفكُّر في كل ذلك وهي في طريقها مع "بيكر" لاستقبال الزائرين اللذين جاءوا بالسيارة. كانوا من الفرنسيين الذين يهتمون بالحضاريات القديمة، وقد جابا أنحاء "سوريا" و"العراق"، فرحب بهما "بيكر" وقدم إليهما "فيكتوريَا" ورفاقتهما الفتاة إلى الحفائر، وردت كالبيغاء كل ما سمعته من إيضاحات، وشفعتها بإضافات من صنع خيالها لتضفي عليها شيئاً من الإثارة.

وبعد فترة من الوقت، اعتذر أحد الرجلين بمرضه، ورجاها أن تسمح له بالاتصال بعض الراحة في البيت، وكانت قد لاحظت أنه ممتنق الوجه ولا يكاد يلقى بالاً إلى حديتها. ولما انصرف، قال عنه زميله إنه يشعر بآلام في معدته، وإنه اقترح عليه أن يرجئ الزيارة إلى يوم آخر ولكنه أصر.

وعندما فرغ الفرنسي من ارتياح الحفائر. دعاه الدكتور "بونسفوت جونز" إلى تناول الشاي ولكنه اعتذر بأنه وزميله يجب أن يبدأ رحلة العودة قبل الغروب حتى لا يضلا الطريق في الصحراء. وعلى الأثر، استقل الفرنسيان سيارتهما وانطلقا بها..

وبعد تناول الشاي. ذهب "بيكر" إلى غرفته لكتابه بعض الرسائل التي اعتزم أن يواعدها صندوق البريد في "بغداد" حين يذهب إليها في اليوم التالي. ولكنه ما كاد يفتح أحد أدراج مكتبه حتى أدرك أن هناك من عبث بأوراقه وأمتعته.. ولم يخامره شك في أن الفاعل هو ذلك الفرنسي الذي تصنع المرض. بيد أنه اكتشف أن شيئاً لم يسرق.. حتى النقود كانت كلها في مكانها.. إذن؟

وخطره خاطر مزعج، فهرول إلى القاعة التي أطلق عليها أستاذه اسم قاعة "الأنتيكات" ، ولكنه وجد "الكنوز" الاثرية لم تمس، ولم يفقد منها شيء. عاد إلى

- البهو ووجد "فيكتوريا" تقرأ كتاباً. فقال لها:
- لقد قام شخص ما بتفتيش غرفتي.
  - من تعني بكلمة "شخص ما"؟
  - ألم تفعلني أنت ذلك؟ فقالت مستنكرة:
  - أنا؟ كلا بالتأكيد. ماذا يحملني على تفتيش غرفتك؟
  - إذن لابد أن يكون الفاعل أحد الزائرين الفرنسيين، وبالتحديد.. ذلك الذي تصنع المرض.
  - هل سرق شيئاً؟
  - كلا..
  - إذن لماذا بحق السماء؟ فقاطعها بقوله:
  - ظننتك تعلمين.
  - أنا؟
  - إن المغامرة التي رويتها لي والأخطر التي أحاطت بك..
  - آه! أتعني ذلك؟ وفكرت قليلاً ثم قالت:
  - ولكن لماذا يفتشون غرفتك؟ وأنت لا شأن لك به..
  - بماذا؟ ولكنها لم تتم عبارتها، واستغرقت في التفكير، ولم يلح عليها "بيكر" بالسؤال وقنع بأن استفسر منها عن الكتاب الذي تقرأه، فأجابت:
  - لا يوجد في مكتبة البعثة من القصص إلا القليل.. إبني أقرأ "قصة مدینتين".
  - ألم يسبق لك أن قرأتها؟
  - كلا.. كنت أظن أن "تشارلز ديكنز" كاتب ممل. ولكنني وجدت هذه القصة طريفة ومثيرة.
  - وأين أنت منها الآن؟ وأطل من فوق كتفها وقرأ: «أخذت المرأة التي تشتل بالتريلوك تحصي الرؤوس التي تفصلها المقصلة». فقالت "فيكتوريا":
  - إنها امرأة مرعبة..
  - من؟ السيدة "لافارج"؟ إنها شخصية عجيبة.. وعلى الرغم من أنني لا أعرف

"التريكو" .. إلا أنني أرتتاب في أن أحدا يستطيع تسجيل قائمة أسماء بواسطة الإبرة والتريكو.

- أظن أن هذا ممكن .. "غزرة" إلى اليمين وغزرة إلى اليسار وكفت عن الكلام فجأة، وانبلج في ذهنها خاطر تذكّرت الرجل الذي اقتحم غرفتها وهو جريح.. والشملة الحمراء التي كان يحيط بها عنقه .. والتي وجدتها هي بعد ذلك ودستها بين أمعتها. ثم نسيتها تماماً.. كانت الشملة مصنوعة من التريكو.. ولم تكن آخر كلمة نطق بها الرجل هي "لافارج" وإنما "ديفارج". لا شك في أنه أراد الإشارة إلى ما كانت تفعله هذه المرأة وإلى أنه قد سجل شيئاً في الشملة "الковية". ورآها بيكر ساهمة مستغرقة في التفكير فقال لها:

- ماذا دهاك؟

- لا شيء. كنت أفكر في أمر.

كانت تفكّر في أنها ستعود غداً إلى "بغداد" ، بعد أيام سعيدة قضتها مع البعثة. نعمت فيها بالراحة والطمأنينة في أعقاب المغامرات الرهيبة التي خاضتها. شق عليها أن تعود إلى خدمة السيد "داكن" .. وإلى العمل في "غضن الزيتون" كلا.. إنها ستذهب إلى غرفتها، وتأتي ب تلك الشملة وتقدمها إلى السيد "داكن" . وبذلك تنتهي مهمتها. ورفع رأسها، ونظرت إلى "بيكر" ، ووجده يتفرس فيها.. قال لها فجأة :

- حدثيني يا "فيكتوريا" .. ما اسمك حقاً؟ إنك لست "فيرونيكا سافيل" التي أوصى بها الدكتور "إيمرسون" ، لقد نصبت لك بضعة فخاخ فسقطت فيها دون أي تحفظ.

- إنني ذكرت لك اسمي عندما تقابلنا لأول مرة اسمي "فيكتوريا جونز" .

- هل أنت ابنة أخ الدكتور "بونسفوت جونز"؟

- كلا، لقد روّيت لك ما حصل لي، ولكنك لم تصدقني، ولذلك زعمت أنني ابنة أخ الدكتور "بونسفوت جونز" حتى أحملك على احترامي والكف عن السخرية مني، ومن قصتي. إن اسم الدكتور له وزنه واحترامه ولكنني لم أكن أتوقع

- أنك ستأتي بي إليه ..
- هل تريدين أن تقولي إن القصة التي سردها حقيقة؟
- إنها حقيقة ..
- وهل ما رويت عن "كارمايكيل" صحيح؟
- لقد رأيت مصرعه وكان ذلك هو بداية القصة كلها.
- إذن أسردي عليّ كل شيء بالتفصيل.
- لا أعلم إذا كنت أستطيع الوثوق بك !!
- إنك تقلبين الأوضاع. هل نسيت أن هناك أكثر من سبب يحملني على الاعتقاد بأنك ما جئت إلى هنا منتحلة من الأسماء والصفات ما ليس لك إلا لاستقاء بعض المعلومات مني؟
- بل ربما كان ذلك هو ما أنت بسبيله الآن ..
- هل تعني أن لديك عن "كارمايكيل" معلومات تهمهم؟
- تهمهم؟ من هم؟
- أظن أنني يجب أن أقص عليك القصة كلها من البداية، فإذا كنت من أعدائي فآمنت تعرف كل شيء فعلاً.. وما سأقصه عليك لن يغير شيئاً ..

\*\*\*\*\*

- وسردت عليه القصة بحذافيرها، ولم تخف عنه شيئاً سوى موضوع الشملة الحمراء، وما استنجدته بشانها وسألتها "بيكر" بعد أن فرغت من قصتها:
- وهل تعتقدين أن الدكتور "راتبون" يلعب دوراً في هذه المؤامرة الرهيبة؟ لا شك في أنك لا تجهلين أنه عالم كبير، وشخصية لها وزنها، وأنه يتلقى معونات من شتى أنحاء العالم ..
- إن تنفيذ المؤامرات يتطلب شخصاً مثله.
- أنا شخصياً أعتقد أنه مهرج ..
- ذلك قناع بارع يحجب حقيقته.

- رعا.. ولكن من هو "لافارج" الذي سأله عنـه؟  
- لا أعلم.. إنه بالنسبة إلى مجرد اسم.. مثله في ذلك مثل "هيلين شيل".  
- "هيلين شيل"؟ لم أسمع قط شيئاً عنها.  
- إنها تلعب دوراً مهماً.. ولكن هذا هو ما أجهله.  
- هل لك أن تذكر لي مرة أخرى اسم الرجل الذي أقحمك في هذه المغامرة؟  
- اسمه "داكن" .. وأعتقد أنه يعمل في إحدى شركات البترول...  
- هل هو مهلهل الثياب ويبدو متبلداً خاماً لا يصلح للقيام بأي عمل مهم..  
- نعم.. ولكن لا ينبغي أن تخدع بالظاهر. فقلب "بيكر" شفته وهز رأسه  
وقال:  
- كانني أقرأ قصة بوليسية.. ولكن "فيكتوريا" كانت تفكـر في مشكلة  
أخرى.. قالت:  
- ماذا ينبغي أن تقول للدكتور "بونسفوت جونز" ، يجب أن تصارـحـه  
بالحقيقة.  
- لن تقول له شيئاً.. ما الفائدة؟

## الفصل الحادي والعشرون

شعرت "فيكتوريا" بفـصـة وهي تلقي نظرـةـ أخـيرـةـ عـلـىـ "التـلـ الأـسـوـدـ" قبلـ أنـ  
تنطلقـ بهاـ السيـارـةـ إـلـىـ "بغـدادـ". وبعدـ نحوـ ثـلـاثـ ساعـاتـ، وصلـتـ السيـارـةـ إـلـىـ  
"بغـدادـ". وهـنـاكـ انـطـلـقـ السـائـقـ والـطـاهـيـ لـشـراءـ ماـ تـحـتـاجـ إـلـيـهـ الـبـعـثـةـ مـنـ مؤـنـ،  
وـقـصـدتـ "فيـكتـورـياـ" وـ"بيـكـرـ" إـلـىـ فـنـدقـ "تيـوـ" ..  
وبـيـنـماـ كـانـ "بيـكـرـ" يـتـسلـمـ الرـسـائـلـ الـخـاصـةـ بـهـ وـبـاستـادـهـ، أـقـبـلـ "مارـكـوسـ تـيوـ"  
وـعـلـىـ شـفـتـيهـ اـبـتـسـامـةـ عـرـبـيـةـ، فـرـحـ بـ"فيـكتـورـياـ" تـرـحـيـباـ حـارـاـ، وـعـتـبـ عـلـيـهـ أـنـهـ  
لـمـ تـحـضـرـ إـلـىـ الـفـنـدقـ مـنـذـ وـقـتـ طـوـيـلـ، وـادرـكـ "فيـكتـورـياـ" أـنـ لـاـ يـعـلـمـ شـيـئـاـ عـنـ  
اـخـطـافـهـاـ، وـخـلـصـتـ مـنـ ذـلـكـ إـلـىـ أـنـ "داـ肯ـ" لـابـدـ أـنـ يـكـوـنـ قدـ نـصـحـ "إـدـوارـدـ"

- بعدم إبلاغ البوليس. وسألت "فيكتوريا" صاحب الفندق عما إذا كان السيد "داكن" موجوداً في "بغداد" ، فأجابها بقوله:
- لقد رأيناه أول أمس، ونحن الآن في انتظار صديقه الكابتن "كروسبى" الذي سيعود اليوم من "كرمنشاه".
- هل تعرف أين يوجد مكتب السيد "داكن"؟
- بالتأكيد . ومن ذا الذي لا يعرف مقر شركة البترول العراقية – الإيرانية؟
- حسناً .. سأذهب الآن بإحدى سيارات الأجرة مقابلته، ولكنني أخشى أن يصل السائق الطريق.
- اطمئنني .. سأتولى بنفسي إرشاد السائق. واستقلت "فيكتوريا" بإحدى سيارات الأجرة، وقالت تحدث "ماركوس":
- نسيت أن أقول لك إنني في حاجة إلى غرفة في فندقك ..
- سأحجز لك أفعى غرفة .. وسأعد لك عشاء شهيما.
- وهل أستطيع أن أفترض منك بعض النقود؟
- إليك محفظتي أيتها العزيزة .. خذى منها ما تريدين.



- وبعد نحو خمس دقائق.. كانت "فيكتوريا" في مكتب السيد "داكن" في شركة البترول .. ونهض هذا لاستقبالها .. وهو يقول:
- الآنسة "جونز"؟ أليس كذلك؟ أحضر لنا قهوة يا "عبد الله" . وما إن خرج الصبي العربي حتى قال "داكن" بصوت خافت:
- ما كان ينبغي أن تحضرني إلى هنا.
- لم يسعني أن أفعل غير ذلك .. فإن لدى ما أريد أن أفضي به إليك قبل أن أقع في ورطة جديدة.
- وهل كنت في ورطة؟ ماذا حدث؟
- ألم يقل لك "إدوارد"؟

- لم يقل لي أحد شيئاً.. وعاد الرجل إلى الجلوس أمام مكتبه وهو يقول:  
- ماذا حدث؟ ثم أضاف بعد قليل:  
- كنت أفضل أن يظل شعرك في لونه الطبيعي. فصمت الفتاة ولم تجوب..  
ودخل عبد الله فوضع قدحى القهوة وانصرف، وحينئذ قال "داكن":  
- في استطاعتك الآن أن تتكلمي فإن الجدر سميك ولن يسمعنا أحد. وفي  
بساطة ووضوح. روت "فيكتوريا" قصة اختطافها وهروبها، وكيف وجدت الصلة  
بين "توريكو" السيدة "لافاج" وشملة "كارمايكل"..  
وأضفت إليها "داكن" باهتمام شديد، وقال وعيشه تناقضان فرحاً:  
- هذه أول معلومات ذات قيمة تصل إلينا.. ولكن أين توجد الشملة الآن؟  
- بين أمتعتي.  
- لا يعلم بأمرها أحد؟  
- كلا.. لسبب مؤكد هو أنني كنت قد نسيتها تماماً..  
- هذا حسن.. وعلى فرض أن بعضهم فتش حقائبك في أثناء غيابك فإن  
الشملة القديمة لن تثير اهتمام أحد.. إن أول ما يجب عمله هو أن نسترد  
حقائبك.. أين تقيمين الآن؟  
- لقد استأجرت غرفة في فندق "تيو"..  
- أحسنت صنعاً..  
- هل تريدينني أن أعود إلى "غصن الزيتون"؟  
- هل أنت خائفة؟  
- لا.. وسأعود إذا طلبت إلي ذلك..  
- لا أظن أنه من الضروري أو من الحكمة أن تعودي إلى ذلك المعهد، ويختيل إلي  
أنهم عرفوا حقيقة أمرك.. وإذا ذهبت فلن تظفر بشيء جديد.. ومن يدري فقد  
تعودين من هناك بشعر أحمر..  
- لا أدري حثّ لماذا صبغوا شعري.. هل لديك أية فكرة؟  
- يوجد تعليل واحد.. مؤلم.. هو أنهم أرادوا إخفاء معالم جثتك..

- إذا كان في نيتهم قتلي . فلماذا لم يفعلوا ذلك في التو واللحظة؟
- هذا سؤال على جانب عظيم من الأهمية أيتها العزيزة، وحبدا لو كان في استطاعتي أن أرد عليه . وساد الصمت لحظة.. ثم قالت "فيكتوريا" فجأة:
- نسيت أن أقول لك شيئاً مهما .. هل تذكر ما قلته لك يوماً من أن شيئاً في السيد "روبرت كرفتون لي" قد تغير؟
- نعم ..
- هل كنت تعرف السيد "روبرت" شخصياً؟
- كلا . لم أقابله إلا هنا في "بغداد" ..
- إن الرجل الذي قابلته هنا لم يكن السيد "روبرت" . وذكرت له ما لديها من معلومات عن السيد "روبرت" ورحلته إلى "بغداد" ، فهتف "داكن" قائلاً:
- ذلك يوضح كل شيء .. لقد تخلى "كارمايكل" عن حذرته حين قابل السيد "روبرت" في الفندق .. فانتهز هذه الفرصة وفتنه به ، ولكن "كارمايكل" استطاع الوصول إلى غرفتك ومعه الشملة التي يمكننا أن نقول إنه حرص عليها حتى آخر لحظة من حياته ..
- هل تعتقد أنني اخترت لكيا لا أنهى إليك هذه الحقيقة؟ ومع ذلك فإني لم أصرح بها أحداً سوى "إدوارد" ..
- أعتقد أنهم رأوا أن الوقت قد حان لتصفيتك لأنك تعرفي عن "غضن الزيتون" أكثر مما ينبغي ..
- لقد حذرني الدكتور "راتبون" .. أو على الأصح هددني ، لابد أنهم عرفوا عن يقين حقيقة الدور الذي أقوم به.
- إن "راتبون" ليس مغفل ..
- الواقع ، إبني سعيدة بأنني لن أعود إلى "غضن الزيتون" . كل ما أخشاه هو الا تناح لي بعد ذلك فرصة اللقاء "إدوارد" . فابتسم "داكن" وقال:
- إذا لم يذهب "محمد" إلى الجيل فإن الجيل سيأتي إلى "محمد" .. اكتب الآن إلى "إدوارد" .. قولي له إنك تقصد فندق "تيو" وأنك تعتمدين عليه في

إحضار حقائبك ..

ـ إيني سأذهب بعد قليل لمقابلة الدكتور "راتبون" بشان حفلة يرمع إقامتها ..  
وسيكون في استطاعتي أن أوصل رسالتك إلى "إدوارد" فلا تعلم "كاترين" عنها شيئاً ..

ـ أما أنت فعليك أن تعودي إلى فندق "تيو" وأن تنتظري هناك .. وإذا .. وتردد  
فسألته :

ـ وإذا ماذا؟

ـ وإذا وقعت في مأزق فلا تفكري إلا في نفسك. سيكون هناك من يتولى  
حراستك. ولكن أعداءك أقوىاء وأنت تعرفين عنهم الكثير ..

## الفصل الثاني والعشرون

صففت "فيكتوريما" شعرها الأشقر وصبغت شفتيها وجلست في شرفة فندق "تيو" ،  
لتقوم مرة أخرى بدور "جولييت". وجاء "روميو" ومحبه "فيكتوريما" ونادته:

ـ "إدوارد" !! فنظر نحو مصدر الصوت ورآها وهتف :

ـ آه ! أنت هنا؟ ولحق بها في الشرفة وكانت خالية، ونظر إليها بشيء من الحيرة وقال :

ـ أنيعني يا "فيكتوريما" .. ماذا فعلت بشعرك؟ فتنهدت في ضيق وأجابت :

ـ إذا سألني سائل عن لون شعري بعد الآن فلن أتردد في تزييق وجهه بأظافري ..

ـ كنت أفضل لونه الأول فلماذا صبغته؟

ـ سل "كاترين" ..

ـ "كاترين"؟! وما صلتها بذلك ..

ـ ألم تطلب إليّ أن أوثق صداقتي بها؟ لقد أطعوك .. وهاهي ذي النتيجة ..  
أكبر الظن أنها لم تبلغك بما حدث لي.

ـ ماذا حدث لك؟ لقد أقلقني غيابك.

ـ أحلاً تقول؟ ألا تعلم أين كنت؟

- كنت في "الموصل" بالتأكيد. فقد نقلت إلى "كاترين" رسالتك الشفوية التي قلت فيها إنك اضطررت إلى السفر فجأة إلى "الموصل" .. وأنك سوف توافييني بأنبائك.

- وهل صدقت ذلك؟

- ظننت أنك أمسكت بطرف خيط مهم، ورأيت من الصواب أن تكتمي الأمر عن "كاترين".

- ألم يخطر لك ببال أنها قد كذبت؟ كان يجب عليها أن تبئنك بأنهم خدروني واحتطفوني.

- يا إلهي !! لم أتصور مطلقاً أن يحدث أمر كهذا .. ولكن ... لا ترين من الحكمة إلا تحدث في هذه الأمور في مثل هذا المكان؟ أليس من الأصوب أن نصعد إلى غرفتك؟

- على رسلك .. هل أحضرت حقائب؟

- نعم. وقد وضعتها عند موظف الاستقبال في الفندق.

- أحسنت صنعاً .. إنني لم أستبدل ثيابي منذ أسبوع.

- ولكن .. ماذا حدث لك بالتفصيل يا "فيكتوريًا"؟

- إنها قصة طويلة ..

- هل تعلمين ماذا يجب أن نفعل؟ إن معي سيارة .. وأعرف مكاناً في الضواحي على جانب عظيم من الجمال والروعة في مثل هذا الفصل من السنة.

- هلمي بنا إليه.

"وهرولا إلى السيارة كعاشقين ينشدان الخلوة بعيداً عن الأنظار. وجلس "إدوارد" أمام عجلة القيادة وانطلق بالسيارة في طريق بعيد يتجه نحو الجنوب.

وبعد نحو نصف الساعة، انحرف بالسيارة نحو اليمين وأوقفها وسط ما يشبه غابة صغيرة من أشجار اللوز والبرقوق والنخيل .. كان المكان رائعًا حقًا. فهافت "فيكتوريًا" وهي تغادر السيارة لتملأ رئيها بالنسيم النقي.

- كأننا في "إنجلترا" في فصل الربيع. وجلسا على العشب تحت مظلة من

أشجار الورد وقال "إدوارد":

ـ الآآن.. بوسعك أن تسردي لي آخر مغامراتك.

فسررت له قصتها منذ ذهبت إلى صالون المرأة الأرمنية إلى أن انضمت إلى بعثة الدكتور "بونسفوت جونز"، وكيف لعبت دور فتاة كان الدكتور يتربّب وصولها. وانفجر "إدوارد" ضاحكاً وصاح:

ـ الحق أنيك فتاة رائعة يا "فيكتوريا" .. إن سرعة خاطرك وخصوصية خيالك تدعوان إلى الدهشة. فابتسمت وقالت:

ـ أليس كذلك؟ الواقع أني أفتت كثيراً من الانتساب إلى أحد الأعمام كالدكتور "بونسفوت جونز" وأسقف "لأنجو". وعندما قالت ذلك تذكرت أمراً وتلاشت الابتسامة عن شفتيها.. تذكرت سؤالاً همت بإلقائه على "إدوارد" في حديقة القنصلية في "البصرة" لولا أن قطعت زوجة القنصل حديثهما. قالت:

ـ لقد تذكرت سؤالاً كنت أود أن ألقيه عليك منذ وقت طويل يا "إدوارد"، كيف علمت أني اخترعت عمًا.. هو أسقف "لأنجو"؟ وكان مسماً بيدها، فاحسست بأصابعه تضغط يدها بشدة وسمعته يقول بسرعة:

ـ أنت ذكرت لي ذلك.. فنظرت إليه بحدة. وحين فكرت في الأمر فيما بعد، أدهشتها أن تؤدي كذبة تافهة إلى النتائج الهائلة التي ترتبت على هذه الكذبة التي نطق بها "إدوارد" في غير تحرز.

لقد أخذه السؤال على غرة، وكان تقلص عضلات وجهه دليلاً على أنه لم يرض كل الرضا عن إجابته. وبدأت الحقائق تنبلاج أمام عيني "فيكتوريا" .. أو لعلها كانت قابعة في ذهنها منذ وقت طويل ولكنها لم ترها إلا في تلك اللحظة.

لم تكن قد حدثت "إدوارد" عن أسقف "لأنجو" .. والشخصان الوحيدان اللذان سمعا منها اسم هذا الأسقف الخيالي هما السيد "هاملتون كلير" وزوجته، ولا يمكن أن يكون أحدهما أو كلاهما قد قابل "إدوارد" وهو لا يزال في "البصرة". إذن لا بد أنهما ذكرا له قصة الأسقف في "لندن".

ومعنى هذا أن "إدوارد" كان يعلم منذ البداية أن "فيكتوريا" ستذهب إلى

"العراق" في رفقة السيدة "كلليب" .. تبأ لها ما أبغاها! لقد ظنت أن الأمر مجرد مصادفة بينما هو في الواقع مدبر ومرسوم. وأدركت فجأة، ماذا كان يعني "كارمايكل" حين ذكر اسم "لوسيفر".

"لوسيفر" .. أجمل الملائكة ..

"لوسيفر" الذي طرد من الجنة.

"لوسيفر" . ابن الصباح، الملائكة الذي سقط.

إذن فإن "راتبون" ليس الزعيم.. إن الزعيم هو "إدوارد" الموظف الصغير الذي يبدو في الظاهر بلا حول ولا قوة.. بينما هو في الواقع كل شيء.. أما "راتبون" .. فإنه مجرد ستار. ولعله ليس من الرداءة كما توهمت. فهو على الأقل قد نصحها بالفرار قبل فوات الوقت. واكتشفت "فيكتوريما" في ذات الوقت، أنها لم تحب "إدوارد" قط، وإنما أعجبت به فقط كما تعجب أية فتاة غريبة بأحد بنجوم السينما. لم تستغرق كل هذه التأملات سوى ثوانٍ، ولم يظهر لها أي أثر على وجه "فيكتوريما" وهي تنظر إلى "إدوارد" بإعجاب مفتuel .. الواقع أنها أحست بغرائزها، أنها في خطر، وأنه لا ترجد لنجاتها سوى وسيلة واحدة. فلجلأت إليها

قالت:

- هل تعرف ماذا خطر لي؟ خطر لي أنك الذي دبرت كل شيء لتيسير قدومي إلى "بغداد" ... الحق أنك رجل مدهش يا "إدوارد" .. فارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ولم يجب .. قالت:

- ولكن كيف استطعت أن تدير كل ذلك؟ لابد أنك ذو نفوذ وسلطان لا حدود لهما.. ولقد بدأت أرتتاب في أنك تخبني حقًا.

- أنت تعلمين أنني أحبك.

- ولكن ما الهدف من كل هذا يا "إدوارد"؟ أريد أن أفهم.

- الهدف هو خلق عالم جديد. عالم جديد ينهض على أنقاض العالم القديم الفاسد.

- أوضح.

فانطلق يتحدث في حماسة شديدة عن الأهداف التي كرس لها حياته، فقال: إن العالم تتنازعه قوتان عظيمتان هما الرأسمالية والشيوعية. والأولى تحرص على وضعها وتقييم العقبات في طريق التطور الحضاري، والثانية تعمل على فرض سيطرتها على العالم. هاتان القوتان يجب أن تخفيها. يجب أن تدمر كل منها الأخرى.. ولا سبيل إلى ذلك إلا بحرب عالمية تمحو الماضي من أساسه؛ لكي يقبض الشباب على زمام الأمر في عالم جديد تماماً.. تحكمه نظم جديدة، ومبادئ جديدة.

- ولكن.. ألن تذهب هذه الحرب العالمية بأرواح ملايين من الضحايا الأبرياء؟

- يجب أن تفهمي أنه لا يمكن إقامة نظم جديدة بغير ضحايا.

كان في مقدورها أن تقول الكثير رداً على هذا المنطق القيم ولكنها آثرت الصمت. ومضت في لعبتها. قالت:

- كم أنا معجبة بك يا "إدوارد". ولكن ماذا في استطاعتي أنا أن أفعل؟

- هل أنت على استعداد لخدمة أهدافنا؟

- إنني لا أعرف سواك يا "إدوارد". وثقتي بك لا حد لها، فلك أن تأمر وعليّ أن أطيع.

- هذا حسن.

- حدثني أولاً لماذا جئت بي إلى هنا؟ لابد أن يكون هناك سبب.

- نعم. هناك سبب. هل تذكرين أول لقاء لنا؟ إنني التقطت لك يومئذ صورتين.

- نعم، أذكر ذلك.

- لقد أدهشتني وجود تشابه عجيب بينك وبين فتاة أخرى فاللتقطت صورتك لكي أتحقق من أنني لم أخطئ.

- ومن هي تلك الفتاة التي أشبهها؟

- "هيلين شيل".

- "هيلين شيل"؟ أنا أشبهه "هيلين شيل"؟! ولم تستطع الفتاة إخفاء دهشتها

فقال "إدوارد" :

- إن التشابه ليس قاصراً على المنظر الجانبي والأمامي، ولكنه يتجاوز ذلك إلى وجود ندبة على يمين الشفة العليا لدى كل منكما.
- هذه الندبة من أثر سقوطي من فوق شجرة وأنا طفلة.. ولكنني أحجبها دائمًا بالدهون والمساحيق.

- ولـ"هيلين شيل" ندبة مائلة.. وهي أكبر منك بتححو أربع أو خمس سنوات ولكنها تمايلك طولاً وزيناً. كل ما هنا لك من اختلاف بينكما هو أن شعرك أسود وشعرها أحقر، وأن زرقة عينيها أخف من زرقة عينيك، ولكن هذا الاختلاف الأخير يمكن علاجه بالعدسات اللاصقة.

- وهل هذا التشابه هو الذي حملك على إحضارى إلى "بغداد"؟  
- نعم، فقد قدرت أنها نستطيع الإفادة منه.

- ولذلك دبرت الأمر مع السيد "كلليب" وزوجته، ولكن من هما بالتحديد؟  
- إمعنان لا أهمية لهما، يفعلان ما يؤمран به.

- يا إلهي ما أشد صلفه وغروره. إنه معبد نفسه. وذلك ما يجعله إنسانا رهيبا.  
قالت:

- ولكن ألم تقل لي إن "هيلين شيل" شخصية مهمة في منظمتك؟  
- إنما أردت أن أصللك. فقد كنت تعلمين أموراً كثيرة. وهنا قالت "فيكتوريا" لنفسها «إن التشابه بينها وبين "هيلين شيل" ربما قد أنقذ حياتها». ومن تكون "هيلين شيل" هذه؟

- إنها السكرتيرة الخاصة للاقتصادي الدولي "أوتومورجنتال". وهي فتاة ذات عقلية جبارة. ولدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأنها تعرف الكثير عن صفقاتنا المالية.. كان هناك ثلاثة أشخاص على جانب عظيم من الخطورة بالنسبة إلينا. "روبرت كرفتون لي"، وـ"كارمايكل" وقد تمت تصفيتها.. أما "هيلين" فإنها لا تزال على قيد الحياة وينتظر أن تصل إلى "بغداد" خلال ثلاثة أيام ولكنها الآن مختفية.

- مختفية؟ أين؟
- في "لندن".
- لا يعرف أحد مكانها؟
- ربما كان "دakan" يعرف.
- وأنت.. أليست لديك أية فكرة عنها؟ فقال بعد تردد قصير:
- المفهوم أنها يجب أن تحضر إلى "بغداد" للاشتراك في المؤتمر الدولي الذي سيعقد بعد خمسة أيام كما تعلمين.. وقد بحثنا في سجلات الشركات السياحية ووجدنا أن هناك مكاناً مرجوحاً في إحدى الطائرات باسم سيدة تدعى "جريتا هاردن" .. وبالاستعلام عن "جريتا هاردن" وجدنا أنه اسم مستعار لسيدة أدلت عن نفسها ببيانات زائفة.. ولذلك فإننا نعتقد أن "جريتا هاردن" هذه ليست سوى "هيلين شيل". وصمت لحظة ثم استطرد قائلاً:
- إن طائرتها ستصل إلى "دمشق" بعد غد. وبعد ذلك سيبتوف كل شيء عليك أنت.

- علىَ أنا؟

- نعم، لأنك ستحلين محلها.
- فتذكرت السيد "روبرت كرفتون لي". وفر لونها. لقد لقي السيد "روبرت" مصرعه في عملية ماثلة.. وجاء الآن دور "هيلين شيل". وفكرت "فيكتوريا" في أنها إذا رفضت الدور الذي يعرضه عليها "إدوارد" فإنه سيرتاب في إخلاصها ويفتك بها قبل أن تتمكن من الاتصال بـ"دakan" وإطلاعه على اكتشافها الجديد. كان لزاماً عليها أن تقبل.. فتلك هي فرصتها الوحيدة لإمكان الاتصال بـ"دakan".
- تنهدت وقالت:

- ولكنني لا أستطيع أن أقبل ذلك يا "إدوارد" .. سيفتضح أمري توا؛ لأنني لا أعرف الل肯ة الأمريكية.
- إن "هيلين شيل" تتكلم الإنجليزية بغير أية ل肯ة. ثم إنك ستصابين بمرض في الخلق، وسيؤيد ذلك طبيب من أكبر أطباء "بغداد".

- وماذا يجب عليَّ أن أفعل؟
- ستغادرین "دمشق" بصفتك "جريتا هاردن"، وستلازم فراشك في "بغداد" بأمر الطبيب، ولا تغادرینه إلا للاشتراك في المؤتمر يوم افتتاحه، وهناك تقدمين ما معك من وثائق..
- وثائق مزيفة بطبيعة الحال؟
- نعم. وقد فرغنا من إعدادها.
- وماذا ثبت هذه الوثائق؟ فابتسم "إدوارد" وأجاب:
- ثبت وجود مؤامرة شيوعية لقلب نظام الحكم في "الولايات المتحدة الأمريكية".
- وهل تعتقد يا "إدوارد" أن لدى الكفاءة للقيام بهذا الدور.
- ولم لا؟ إنك بارعة في الكذب.
- ولم يسع "فيكتوريَا" إلا الاعتراف فيما بينها وبين نفسها بفوائد الكذب. فلو لا أنها نسبت نفسها كذباً إلى أسقف "لانجو" لما استطاعت أن تحيط اللثام عن حقيقة "إدوارد". فقالت:
- والدكتور "راتبون" .. هل هو أيضاً من زعماء المنظمة؟ فقلب "إدوارد" شفتيه باحتراف وأجاب:
- إن "راتبون" يطيع ولا يأمر.. هل تعلمين ماذا فعل هذا الأستاذ العظيم؟ لقد ظل طوال سنوات عديدة يختلس لنفسه ثلاثة أرباع الاشتراكات والمعونات التي ترسل إلى المعهد من شتى أنحاء العالم. إنه محثال بارع، ولكنه أصبح في قبضة يدنا، وفي استطاعتنا أن نفضحه في أية لحظة. وهو يعلم ذلك جيداً.
- وتخيلت "فيكتوريَا" الدكتور "راتبون" بجبهته العريضة، وشعره الأبيض وقالت لنفسها: «إنه ربما كان محثالاً. ولكنه إنسان جدير بالشفقة». ونهض "إدوارد" وهو يقول:
- آن لنا أن نرحل، لكي نعد العدة للخطوة التالية.
- وكان ذلك هو ما تتوق إليه "فيكتوريَا". كانت تتوق إلى العودة إلى "بغداد" في

- أقرب وقت، فإن الخطر عليها هناك سيكون أقل. قالت تحدث "إدوارد":  
- قلت منذ لحظة إن السيد "داكن" ربما كان يعرف مكان "هيلين شيل". إن في استطاعتي أن أحمله على الكلام.. والإفضاء بمعلوماته عنها..  
- لا أمل في ذلك. ثم إنك لن تقابلي "داكن". فاحسست "فيكتوريما" كان قلبها قد كفَ عن الحركة.. وجدت من الضروري أن تكذب.. وبجرأة قالت:  
- ولكنني كنت على موعد معه هذا المساء. فإذا لم أذهب إليه فقد يرتاب في الأمر..  
- ذلك لا أهمية له في الوقت الحاضر.. لقد أعددنا مخططاتنا. ولا ضرورة لبقائك في "بغداد".  
- ولكن أمعنتي كلها في فندق "تيو". كانت تفكري شملة "كارمايكيل".  
- لن تكوني في حاجة إلى أمعنفك في الوقت الحاضر. إنني أعددت لك زيا خاصا.. هلمي بنا.  
وادركت "فيكتوريما" أنه كان من الغباء أن تصور أن "إدوارد" سيسمح لها بفرصة للاتصال بـ"داكن" بعد أن علمت من أمره ما علمناه. وانطلقت بهما السيارة في الطريق إلى "بغداد" .. وساد السكون بينهما فترة طويلة.. إلى أن غغم "إدوارد" قائلاً وكأنه يحدث نفسه:  
- "لافارج"! ليتبيني أعلم لماذا ذكر "كارمايكيل" هذا الاسم! وسرعان ما تتفق ذهن "فيكتوريما" عن كذبة جديدة. صاحت:  
- آه! نسيت أن أقول لك إن رجلاً يدعى "لافارج" زار حفائر "التل الأسود" منذ بضعة أيام.. فصاح "إدوارد" وقد اختلت عجلة القيادة في يده:  
- ماذا قلت؟! متى حدث ذلك؟ فتظاهرت "فيكتوريما" بالتفكير.. وأجابت بعد لحظة.  
- منذ نحو ثمانية أيام. وقد قال إنه يبحث عن الآثار في "سوريا" مع بعثة "بارو"..  
- وهل زار الحفائر وأنت هناك رجلان يدعى أحدهما "أندريو" والآخر يدعى

"جوفيه"؟

- نعم.. وأذكر أن أحدهما أصيب بآلمن في معدته.

- لقد كانوا من أتباعنا..

- وهل أرسلتهم للبحث عنني؟

- لا. فإنني لم أكن أعرف مكانك، ولكن حدث أن "ريتشارد بيكر" كان في "المصورة" في نفس الوقت مع "كارمايكل"، فخطر لنا أن "كارمايكل" ربما قد أودع لديه بعض الوثائق التي تهمنا.

- آه! هذا يفسر شكوكى "بيكر" من أن بعضهم قد عبث بأمتعته.. هل وجد الرجلين أم جاء بعدهما؟ فتظاهرت بالتفكير وأجابت:

- قبلهما.. بنحو أربع وعشرين ساعة.

- وماذا فعل؟

- تفقد الحقائب مع الدكتور "بونسفوت جونز" ثم رافق "بيكر" إلى المنزل لزيارة مخزن الآثار.

- وهل دار حديث بين "لافارج" و"بيكر"؟

- لا أعلم. فإنني كنت في قاعة الصوير.

- ليتني أعلم من يكون "لافارج" هذا. هل تستطيعين وصفه؟

- إنه طويل القامة، نحيف الجسم، أسود شعر الرأس، شاحب اللون.

فتنهد "إدوارد" ولزم الصمت.. وأوقف "إدوارد" السيارة أمام فيللا الحي الأوروبي خارج "بغداد"، ودق جرس الباب ففتحته امرأة قصيرة القامة، شاحبة الوجه. وتبادل "إدوارد" مع المرأة بعض العبارات باللغة الفرنسية، فذهبت المرأة بـ"فيكتوريها" إلى إحدى غرف النوم. وبعد نحو نصف الساعة، خرجت المرأة من الغرفة وهما ترتديان ثياب الراهبات وفي يد كل منهما مسبحة. ونظر "إدوارد" إلى "فيكتوريها" وصاح وهو يبتسم:

- إنك أجمل راهبة رأيتها في حياتي، إنما ينبغي أن ترخي أهدابك وتنكسي رأسك، خصوصاً أمام الرجال.

ثم رافق المرأةين إلى سيارة كانت تنتظر بالباب وقال يحدث "فيكتوريا":

- كل شيء الآن يتوقف عليك يا "فيكتوريا" .. فافعل كل ما يطلب إليك.

- ألا تأتي معنا؟

- لا . ولكننا سنتلقى فيما بعد . ثم أدنى رأسه منها وقال بصوت عذب:

- إنني أعتمد عليك أيتها الحبيبة .. فهذا دور لا يستطيع القيام به سواك . إن أوراقك كاملة ولن تصادفك متاعب عند الحدود، وبهذه المناسبة .. أنت الآن الأخت "ماري دايزانج" .. وهذه هي الأخـت "تيريز" . إنها ستتهتم بكل شيء وعليك إطاعتها . قال ذلك ثم أومأ إلى سائق السيارة فأدار محركها وما هي إلا لحظة حتى كانت تطوي الأرض طيـا .

وفكرت "فيكتوريا" في أنها ربما تستطيع الاستغاثة في شوارع "بغداد" ، أو عند الحدود . ولكنها ما كادت ترى المسدس الذي وضعـته زميلتها في كم ثوبها حتى أقلعت عن التفكير في الاستغاثة .

## الفصل الثالث والعشرون

هبطت الطائرة الضخمة بسلام ، وغادرـها ركابـها .. وكان بينـهم أربـعة أشـخاص يقصدـون "بغداد" ويتعـين عليهم أن يستقلـوا طائـرة أخـرى ، بعد عـرض جـوازـاتـهم على الموظـف المسؤول . وأحد هـؤلـاء الأربـعة رـجل عـربـي بدـين يـبدو أنه تـاجر عـراـقي ، والـثاني طـبـيب إـنجـليـزي شـاب وـسيـدانـ. وـتـقدـمت إـحدـى السـيدـتـين منـ الموظـفـ الخـتصـ. فـتـناـولـ جـواـزـ سـفـرـها وـقـالـ وـهـوـ يـتصـفحـهـ :

- السـيدة "بونـسفـوت جـونـز" ؟ إـنجـليـزـيةـ؟ هل سـتـلـحـقـين بـزـوجـكـ؟ حـسـنـاـ. ما عنـوانـكـ في "بغـدادـ"؟ شـكـراـ.. كـمـ مـعـكـ منـ النقـودـ؟ وـتـقدـمتـ الثـانـيـةـ. وـكـانـتـ في

مـقـتـبـلـ العـمرـ، شـقـراءـ نـحـيفـةـ، فـتـناـولـ الموظـفـ جـواـزـ سـفـرـهاـ. وـقـالـ وـهـوـ يـتصـفحـهـ:

- الآـنسـةـ "جـريـتا هـارـدنـ"؟ دـانـمارـكـيـةـ، قـادـمـةـ منـ "لنـدنـ"؟ ما عنـوانـكـ في "بغـدادـ"؟ شـكـراـ.. كـمـ مـعـكـ منـ النقـودـ؟

وقيل للمسافرين الأربع إِن الطائرة ستقلع في المساء. إِن هناك سيارة ستقلهم إلى الفندق العباسى، حيث يتناولون طعام الغداء ويلتمسون بعض الراحة.

\*\*\*\*\*

وفي الفندق العباسى تمددت "جريتا هاردن" في فراشها، وكانت بسبيل تصفح إحدى المجالات حين سمعت طرقاً على الباب ففتحته وووجدت أمامها مضيفة تضع على صدرها شارة شركة الطيران. قالت المضيفة:

ـ يؤسفني أن أزعجك يا آنسة "هاردن". ولكن يبدو أن هناك خطأ في تذكرة سفرك.. إن الأمر سهل على كل حال. فهلا تفضلت معي إلى مكتب الشركة في الفندق، إنه في آخر الدلهيز..

ولم تكد "جريتا" تدخل غرفة على بابها لوحظ تحمل كلمة "مكتب" - وقد اختفت هذه اللوحة في اللحظة التالية - حتى وضعت على فمها كماماً، والقى على رأسها كيس من القماش الأسود. وأمسك بها رجلان ليمنعاهما من الحركة، وتقدم ثالث يبدو أنه طبيب فكشف عن ذراعها وأغمد فيه إبرة. وبعد ثلاثين ثانية غابت الفتاة عن وعيها تماماً. قال الطبيب:

ـ لن تفيق قبل ست ساعات.. ثم فتح باباً وأطل منه وقال:

ـ أقبلا.. فدخلت امرأتان ترتديان ثياب الراهبات. وانصرف الرجال الثلاثة.. وعلى الفور تبادلت أصغر الراهبتين ثيابها مع "جريتا هاردن"، وأقبلت الراهبة الثانية فقصت شعر زميلتها على نحو ما تفعل "هيلين شيل" بشعرها، واستعانت في ذلك بصورة فوتografية كانت معها، وما إن فرغت من ذلك حتى دق الباب

ودخل الرجال الثلاثة وعلى وجوههم مظاهر الارتياح. قال الطبيب:

ـ ليس ثمة شك في أن "جريتا" هي "هيلين شيل" .. فقد وجدنا أوراقها مخبأة في حقيبتها وسط حزمة من المجالات. ثم انحنى باحترام أمام "فيكتوريَا" وقال:

ـ والآن يا آنسة "هاردن" ، هل تشرفينني بتناول طعام الغداء معي؟ وتبعته

"فيكتوريَا". ولم يكن في بهو الفندق سوى سيدة تتحدث إلى موظف الاستقبال. كانت تقول له:

ـ كلا، إن صيغة البرقية لا غبار عليها.. «ساكون في فندق "تيو"، ألف قبلة». ولكن التوقيع خطأ. الاسم هو: "بونسفوت جونز". "بونسفوت" ونظرت "فيكتوريَا" إلى السيدة من ركن عينها.

ـ إذن فهذه هي زوجة الدكتور "بونسفوت جونز"؟ ليتها تستطيع أن تعهد إليها برسالة لـ"ريتشارد بيكر".

ورأت "فيكتوريَا" زوجة الدكتور مرة أخرى في قاعة الطعام، ومرة ثالثة في الطائرة التي أقلتها إلى "بغداد" ولكن لم تسنح لها الفرصة للاتصال بها.

## - 2 -

قال "بيكر":

ـ الحق أتنى قلق على هذه الصغيرة. فقال الدكتور "بونسفوت جونز" وهو شارد الذهن:

ـ أيام صغيرة؟

ـ "فيكتوريَا". فقطب الدكتور بين حاجبيه وقال باهتمام:

ـ هذا صحيح.. الواقع أنك عدت أمس بدونها. لم يكن في نيتها العودة على كل حال؛ لأنها ليست "فيرونيكا سافيل".

ـ آه! هذا عجيب! ولكن ألم تقل لي إن اسمها "فيكتوريَا"؟

ـ إن اسمها "فيكتوريَا" .. ولكنها لم تعرف قط الدكتور "إيرسون" ، ولم تدرس في يوم ما تاريخ الأجناس البشرية. كان هناك سوء تفاهم.

ـ هذا أمر يُؤسف له .. الواقع أن شroud ذهني أصبح لا يحتمل.. أصبحت لا أذكر ما يقال أمامي وأفقد الرسائل التي ترد إلىي. ومن هنا ينشأ سوء التفاهم. واستطرد "بيكر" مسترسلًا مع تأملاته:

ـ قيل لي إنها خرجت مع شاب في سيارة. ولم يرها أحد بعد ذلك.

وحقائبها لا تزال في الفندق ولم تكلف "فيكتوريا" نفسها عناء فتحها.. خصوصا وأنها قضت عندنا عدة أيام وكانت في أشد الحاجة إلى استبدال ثياب نظيفة بثيابها المتسخة.. يضاف إلى كل ذلك أنني كنت على موعد معها لتناول الغداء.. الحق، إيني لا أكاد أفهم... كل ما أرجوه إلا يكون قد أصابها مكرورة.

- يخيل إليك أنك ترتعج نفسك بلا مبرر.
- لقد اخطفوها مرة.. ومن المحتمل أن يكونوا قد اخطفوها مرة أخرى.
- هذا أمر بعيد الاحتمال يابني.. فالامن والهدوء يسودان البلاد.
- ليتنى فقط أذكر اسم ذلك الرجل الذي يعمل في شركة البترول! اسمه "ديكون" ... "داكن" ... شيء من هذا القبيل. وصمت لحظة ثم استطرد قائلا:

- هل يضايقك يا دكتور أن أذهب إلى "بغداد" غدا؟
- غدا؟ ولكنك كنت هناك أمس.
- ولكنني في أشد حالات القلق عليها..
- لماذا كتبت الأمرعني يا "ريتشارد"؟
- أي أمر؟
- لم أكن أعلم أنك مهتم بأمر الفتاة إلى هذا الحد، هذه هي المتابع التي تنشأ عن اشتراك النساء في أعمال البعثة.. وبخاصة إذا كان على شيء من الجمال.. هذه أول مرة أراك فيها تهتم بامرأة. فاحمر وجه "بيكر" وقال:
- إيني لم أقع في حبها.. ولكنني قلت عليها.. ويجب أن أذهب إلى "بغداد".
- اذهب إذن.. وحباذا لو انتهزت الفرصة وأحضرت معك الفؤوس التي نسيها السائق أمس..

ورحل "بيكر" في الفجر.. ووصل إلى "بغداد" في الساعة الثامنة صباحاً، وقصد توا إلى فندق "تيو" وسأل عن "فيكتوريا" وعلم أنها لم تعد. وقال له "ماركوس":

- هذا غريب .. حقيقة.. لقد وعدتني أن تتناول العشاء معي فأعددت لها مأدبة لا  
مثيل لها.

- هل أبلغت البوليس؟

- لا، إن ذلك قد يضايقها.. ومن الحق أن يضايقني كذلك.  
ولم يجد "بيكر" صعوبة في معرفة عنوان "داكن" فذهب إليه في مكتبه. ووجد  
أنه كان على صواب حين عرفه من مجرد وصف "فيكتوريما" له. سأله عما إذا كان  
قد رأى "فيكتوريما" فأجاب:

- إنها جاءت لمقابلتي أمس الأول.

- هل تستطيع أن تدلني على عنوانها حاليا؟

- كل ما أعلمه أنها تقيل في فندق "تيو".

- إن حقائبتها هناك ولكنها اختفت. فقطب "داكن" حاجبيه. وقال "بيكر":

- إنها عملت معنا بضعة أيام في حفائر "التل الأسود".

- فهمت.. ولكن لسوء الحظ ليست لدى معلومات عنها. إن لها أصدقاء في  
"بغداد" ولكنني لا أعرفهم.

- ألا يتحمل أن تكون في "غضن الزيتون"؟

- لا أظن ذلك. في استطاعتك أن تسأل.. فنهض "بيكر" وهو يقول:

- على كل حال. لن أغادر "بغداد" قبل أن أجدها. ورمق "داكن" بنظرة تنبئ  
على السخط وانصرف وعاد أدراجه إلى فندق "تيو"، ووجد "ماركوس" في الصالة  
ووجهه يتلألق بشراً، فانتعشت آماله وهتف:

- هل عادت؟

- كلا.. ولكنني علمت بنها قدوم السيدة "بونسفوت جونز". إنها الآن في  
المطار. على الرغم من أن الدكتور "بونسفوت" أكد لي أنها لن تحضر قبل  
 أسبوع..

- إنه لا يذكر من التواريخ إلا ما يتصل بالعصور القديمة.. أما من نها عن  
"فيكتوريما"؟ فارتسم الحزن على وجه "ماركوس" وأجاب:

- لا، وهذا أمر مزعج.. إنها فتاة طريفة، ومرحة. فتنهد "بيكر" وأجاب:  
- أظن أنه يحسن بي أن أنتظر السيدة "بونسفوت جونز"؛ لأنّه لها تحياتي..

### - 3 -

- أنت؟ كان صوت "فيكتوريا" يعبر عن كل ما يعتمل في نفسها من حقد وبغض.. ذلك أنها ما كادت تدخل الغرفة التي حجزت لها في فندق "بابل" حتى وجدت "كاترين" في انتظارها. وأجابت "كاترين" بنفس الحقد:  
- نعم أنا. تمددي هنا فسيأتي الطبيب في التو واللحظة.

وكانت "كاترين" ترتدي ثياب المرضات.. وكل حركاتها تدل على أنها لا تنوى أن تدع "فيكتوريا" تغيب عن بصرها لحظة واحدة. وتمددت "فيكتوريا" على الفراش وهي تقول بصوت خافت:

- إذا قلت إن "إدوارد" في قبضة يدي فإنني أعني ما أقول. فضحتك "كاترين" وصاحت:

- "إدوارد"؟ أيتها الإنجليزية البلياء.. إن "إدوارد" لا يحب أحدا سواي. ثم انحنت فوق الفراش وهتفت:

- لقد كرهتك منذ وقع بصرى عليك لأول مرة. إنني أبغضك.. أبغضك.. هل فهمت؟ فقالت "فيكتوريا" لتغطيظها:

- المهم.. إنه لا غناء له عنّي.. أما أنت فإنه مجرد مرضٌ. تستطيع أي فتاة أخرى أن تقوم بدورها.. إن كل شيء يتوقف على أنا يا "كاترين".." فهزت "كاترين" كتفيها وأجابت:

- يجب أن تعلمي أنه لا يوجد إنسان لا يمكن الاستغناء عنه.  
- أنا ذلك الإنسان. قولي لهم إنني أريد طعاماً ممتازاً يليق بسكرتيرة مليونير أمريكي.

- حسناً.. اضحكـي مـadam ذلك في استطاعـتكـ.  
وكانت إجابتها حافلة بالتهديد. ولكن "فيكتوريا" لم تلقـ إليها بالـا.

- 4 -

اقترب الكابتن "كروسيبي" من مكتب موظف الاستقبال في فندق "بابل" وسأله:  
- هل الآنسة "جريتا هاردن" في غرفتها؟ فاطرق الموظف برأسه وأجاب:  
- نعم يا سيدي.. لقد وصلت من "إنجلترا" في التو واللحظة..  
- إنها صديقة أختي.. هل لك أن ترسل بطاقتي إليها؟

وأخرج من جيبه بطاقة كتب عليها بعض كلمات في غلاف.. وبعد فترة، عاد الخادم الذي حمل البطاقة وقال:

- إن الآنسة "هاردن" لا تستطيع استقبالك يا سيدي، فإنها مصابة بمرض في حلقها، وتلازم الفراش.. إنها تنتظر الطبيب ومعها إحدى المرضات. فانصرف الكابتن "كروسيبي" وقصد إلى فندق "تيجو"، وهناك بادره "ماركوس" قائلاً:  
- إيني أدعوك لتناول بعض الشراب. إن الفندق حافل بالنزلاء بسبب المؤتمر، وقد اضطررت إلى التخلص من أحد موظفي الأمم المتحدة لكي أفسح مكاناً للسيدة "بونسفوت جونز" .. إنها جد غاضبة؛ لأنها لم تجد زوجها في انتظارها. الواقع أن الدكتور رجل ظريف ولكنه كثير النساء.

- إن انطباعي عن "بغداد" الليلة أنها تعيش فترة جنون.  
- إن هذا صحيح.. ويبدو أنهم اكتشفوا مؤامرة ضد بعض أعضاء المؤتمر، وقد ألقوا القبض على خمسة وستين طالباً.

- 5 -

دق جرس التليفون، فتناول سكرتير السفارة السمعاء وقال:  
- هنا السفارة الأمريكية. الآنسة "هيلين شيل"؟ هل أستطيع التحدث إليها؟  
- هنا فندق "بابل" .. الآنسة "هيلين شيل" موجودة في الفندق.  
- إنها مريضة في فراشها، وأنا الدكتور "سمولبروك" طبيبها. تقول الآنسة إن معها وثائق مهمة تريد تسليمها إلى مسؤول في السفارة هل ستوفد إليها رسولاً؟  
الآن؟ حسناً.. إنها في الانتظار.. شكرًا.

## - ٦ -

ارتدت "فيكتوريما" ثوباً أنيقاً، نظرت إلى نفسها في المرآة ووجدت شعرها الأسود مقبلاً.

وفجأة، نظرت خلفها فرأت "كاترين" تتأملها بعينين تتألقان سروراً فاحسست بالدهشة والقلق وسألتها:

ـ ما سبب اغتيالك؟

ـ ستعلمين في التو واللحظة. وكان صوتها مليئاً بالاحتقار واستطردت قائلة:ـ ألا تزالين تعتقدين أن كل شيء يتوقف عليك؟ يا لك من حمقاء!! فانقضت عليها "فيكتوريما" ونشبت أظفارها في كتفيها وهي تصيح:

ـ أوضحي أيتها الشقية. ماذا تعدين؟

ـ دعيني.. إنك تؤلمني.

ـ تكلمي.. وفي هذه اللحظة. دق الباب ثلاث مرات بطريقة خاصة. فقالت "كاترين" وعياتها تتألقان:

ـ ستعلمين الآن كل شيء..

وفتح الباب ودخل رجل طويل القامة، يرتدي ثياب البوليس الدولي.. وأغلق الرجل الباب ووضع مفتاحه في جيبه وقال يحدث "كاترين":

ـ هلمي، يجب أن نعمل بسرعة. فجلست "كاترين" على أحد المقاعد، وشد الرجل وثاقها جيداً وكم فمها.. ثم وقف منها على بعد خطوتين وتأملها قائلاً:ـ هذا رائع. ثم تحول إلى "فيكتوريما" فرأت هذه - والرعب يملأ قلبها - أن في يده مطرقة.. وبأسرع من لمح البصر فهمت كل شيء.

فهمت أنه لم تكن هناك أية نية لجعلها تقوم بدور "هيلين شيل" في المؤتمر. إن قيامها بهذا الدور كان ينطوي على خطورة شديدة، لأن الكثيرين في "بغداد" يعرفونها شخصياً بصفتها "فيكتوريما جونز".

لذلك تفتقت أذهانهم عن فكرة أفضل. هي أن تقتل "هيلين شيل" في آخر لحظة ويشوه وجهها بحيث لا يتعرف عليها أحد.. وهكذا تكتشف جثة "هيلين"

في غرفتها، وتكتشف معها الوثائق التي جاءت بها. وهي بطبيعة الحال وثائق زائفة  
أعدها أعون "إدوارد" ..

\*\*\*\*\*

وتقديم منها الرجل وعلى شفتيه ابتسامة وحشية فاندفعت نحو النافذة وهي تصرخ. وسمعت "فيكتوريا" صوت زجاج يتحطم، وأحسست بضربة تزلزل كيانها .. فقدت الوعي ..

- 7 -

تناول "داكن" السماعة وقال:

- إبني مصنوع ..

- انتهت العملية بنجاح تام.

- حسناً ..

- اعتقلنا الطبيب وـ "كاترين سركيس" ، وفر الرجل الآخر من النافذة .. ولكنه اعتقل عند باب الفندق.

- هل جرحت الفتاة؟

- لا .. أصبت بضربة .. وأغمي عليها ..

- هل ثمة أنباء عن "هـ. شـ" الحقيقة؟

- لا .. فوضع "داكن" السماعة.. لقد نجت "فيكتوريا" .. وهذا أمر له أهميته .. أما "هيلين شيل" .. فلابد أنها ماتت. لقد أصرت على أن يدعوها وشأنها.. ووعدت بأن تكون في "بغداد" يوم 19 واليوم هو التاسع عشر. ولم تظهر. إن اختفاءها سوف يضعف قضيتها؛ لأنها كان يعتمد عليها كل الاعتماد في إماطة اللثام عن ركن مهم من أركان المؤامرة الرهيبة التي تستهدف إشعال حرب بين القوتين العظيمتين لا تقي ولا تذر.

ودخل الخادم وقدم إليه ورقة عليها اسم "ريتشارد بيكر" والسيدة "بونسفوت

جونز .. وقرأ "دakan" الاسمين وقال في ضيق:

ـ قل لهم إيني آسف . ولا أستطيع استقبالهما.

فانصرف الخادم وعاد بعد لحظة وبيده الرسالة وفض "دakan" الغلاف ووجد  
قصاصة كتبت عليها هذه الكلمات:

ـ أود أن أحذلك عن "كارمايكيل" « قال :

ـ دعهما يدخلان .. ودخل الزائران ، وجلسا ، وتحدث "بيكر" في الموضوع  
مباشرة .. قال :

ـ سأتكلم بإيجاز اقتصادا للوقت .. فقد اتفق أني كنت زميلاً في الدراسة  
لشخص يدعى "هنري كارمايكيل" ثم افترقنا ، ومضت عدة أعوام لم نلتقي  
خلالها .. ورأيتهأخيرا في دار القنصلية البريطانية في "البصرة" . وكان متمنكرا في  
زي عربي ، فعرفني واستطاع التفاهم معه . فهل يهمك هذا الموضوع ؟  
ـ إلى أقصى حد .

ـ لقد فهمت منه أنه في خطر وبعد بعض دقائق حاول رجل إطلاق الرصاص عليه .  
ولكنني جرده من مسدسه ، وتمكن "كارمايكيل" من الفرار .. ولكنني لاحظت فيما  
بعد ، أنه دنس في جيبي ورقة يبدو من ظاهرها أن لا أهمية لها . ولكنني قررت أن  
أتصرف كما لو كانت لهذه الورقة كل الأهمية بالنسبة إلى "كارمايكيل" . واحتفظت  
بها على أمل أن يعود "كارمايكيل" ذات يوم للمطالبة بها ..  
ولكنني علمت من "فيكتوريابا جونز" منذ أيام أن "كارمايكيل" لقي مصرعه ،  
وفهمت من ملابسات أخرى أنه إذا كان هناك إنسان من حقه أن يحصل على هذه  
الورقة فذلك الإنسان هو أنت .. ها هي ذي الورقة .. قال ذلك ووضع الوثيقة على  
مكتب "دakan" . واستطرد قائلاً :

ـ هل لها آلية أهمية ؟

ـ إنها أهم مما تتصور يا "بيكر" .. وأنا لا أعرف كيف أشكرك . وقد كنت أود أن  
يطول هذا اللقاء .. لو لا أن لدى من المهام - باللغة الخطورة - ما يعني من أن أضيع  
دقيقة واحدة . وشد على يد "بيكر" ، وقال وهو يصافح السيدة "بونسفوت جونز" !

- لا شك في أنك ستلحقين بزوجك العظيم في حفائر "التل الأسود"؟ إبني أنتي لبعثته كل نجاح و توفيق .  
فقال "بيكر" :

- من حسن الحظ أن الدكتور "بونسفوت جونز" لم يحضر معى إلى "بغداد" اليوم، إنه عادة لا يلاحظ شيئاً مما يدور حوله، ولكن من الحق أنه كان سيلاحظ وجود بعض الفوارق والاختلافات بين زوجته وشقيقتها ففرغ "داكن". ونظر إلى السيدة "بونسفوت جونز" التي قالت بصوت رقيق:

- إن اختي "إيلزا" لا تزال في "إنجلترا"، وقد صبغت شعرى واستخدمت جواز سفرها.. إن السيدة "بونسفوت جونز" قبل زواجهما كانت تدعى "إيلزا شيل" أما أنا يا سيد "داكن" فإنني "هيلين شيل" ..

## الفصل الرابع والعشرون

لم تشهد شوارع "بغداد" من رجال الشرطة مثل العدد الذي شهدته يوم افتتاح المؤتمر.. وفي أحد قطاعات قصر نائب الملك اجتمعت إحدى لجان المؤتمر، لاستعراض الأخطار التي تهدد السلام العالمي.

وافتتح الجلسة الدكتور "الآن بريث" مدير معهد الذرة في "هارديل" ، فالقى كلمة موجزة مؤيدة بالوثائق، تحدث فيها عن عيوب التربية التي أحضرها السيد "روبرت كرفتون لي" من "الصين" و "تركستان" و "العراق" وأثبت التحليل أنها غنية بمعدن الاليورانيوم.. ثم تكلم "داكن" ، فروى قصة "كارمايكل". الرجل الذي لم يسخر من الشائعات القائلة بوجود مصانع هائلة في مناطق مهجورة بعيدة عن الحضارة، وال عمران، فخاطر بحياته للتحقق من صحة هذه الشائعات. ثم قال:

- لقد ذهب "كارمايكل". وذهب السيد "روبرت كرفتون لي" . ولكن بقي شخص يستطيع أن يبلي اللثام عن حقائق مذهلة. فأرجو أن تصغرا إليه إنه الآنسة "هيلين شيل" .

وبهدوء ورباطة جأش، تكلمت "هيلين شيل" كما كانت تتكلم في مكتب "مورجنتال". فذكرت أسماء وأرقاماً وأوضحت كيف استطاعت إحدى المنظمات أن تستنزف مبالغ جسمية من شتى أنحاء العالم لتمويل مشروعاتها التي تهدف إلى بذر الشقاوة بين كنلتين من الدول، وتلقيب كل منها على الأخرى لإشعال نار حرب عالمية مدمرة.

وعقب "داكن" على حديثها فقال: إن "كارمايكيل" قد جاء بالأدلة ولكنه لم يحفظ بها معه؛ خوفاً من أن تقع في أيدي أعداء كان يعلم أنهم يترصدونه في كل ركن. وإنما تركها وديعة لدى واحد من أصدقائه هو الشيخ "حسن الزيارة" من كبار علماء المسلمين في "كريباء". ونهض الشيخ الوقور "حسن الزيارة"، فقال إنه عرف "كارمايكيل" منذ كان طفلاً، وعلمه قواعد اللغة، وشرح له الكثير من قصائد الشعراء القدامى والمخدين.. ثم حدثمنذ بضعة أسابيع أن جاءه رجالان يعرضان صوراً في صندوق، وقدموا إليه حزمة صغيرة قالا إنها من لدن "كارمايكيل"، وأن هذا الأخير يطلب إليه أن يكتم أمرها ويحفظ بها فلا يسلّمها إلا لمن يقول بيتنا معيناً من الشعر. وهنا قال "داكن":

– إنه بيت قاله أحد الشعراء في مدح سيف الدولة أمير "حلب". فابتسم الشيخ وقال:

– هو ذاك.. إليك الحزمة.

– إن في هذه الحزمة مجموعة من الأفلام سجل فيها "كارمايكيل" صور المصانع التي شاهدها. والرأي عندي أن تقدم في هذه الجلسة صور من وثائق "كارمايكيل" و"هيلين شيل" إلى رؤساء الوفود التي تشارك في المؤتمر.

## الفصل الخامس والعشرون

قالت "فيكتوريَا" :

– ليس هناك ما يؤلمني ويحز في نفسي سوى الفتاة الدانماركية المسكينة التي

لقيت حتفها في "دمشق". فأجاب "داكن" وهو يبتسم:  
— هل تعنين الآنسة "جريتا هاردن"؟ إنها لا تزال على قيد الحياة وتتمتع بصحة  
جيدة، ولم يكن هناك خطر على حياتها طوال فترة انعقاد المؤتمر لقد نقلناها إلى  
المستشفى واعتقلا المراة الفرنسية التي كانت تتذكر في زي الراهبة... ولعل من  
تحصيل الماصل أن أقول لك إن "جريتا هاردن" تعمل هنا معنا.  
— أحقاً تقول؟

— نعم. لقد رأينا بعد اختفاء "هيلين شيل" أن نضلل خصومنا.. فاحتجزنا مكاناً  
في الطائرة لـ"جريتا هاردن"، وأحاطناها بالغموض وزودناها بأوراق مزيفة لإيهام  
الخصوم بأنها "هيلين شيل" ، ونجحت الحيلة..

— هل صحيح أنني كنت تحت حراسة أعوانك طوال الوقت؟  
— نعم. الواقع أننا ارتبنا في نشاط "إدوارد" قبل أن يغادر "لندن" ، ولما رويت  
لي قصتك عقب مصرع "كارمايكل" لم أجده وسيلة للمحافظة على حياتك أفضل  
من إلهاشك بالعمل معـي.. وكان رأيـي في ذلك أن "إدوارد" متى عـرف صـلتـك بيـ،  
فـإنـه سـوفـ يـبـقـيـ عـلـيـكـ ليـضـلـلـنـاـ بـالـمـعـلـوـمـاتـ الزـائـفـةـ التـيـ يـفـضـيـ بـهـاـ إـلـيـكـ وـهـوـ يـعـلـمـ  
أنـكـ سـتـنـقـلـيـنـاـ إـلـيـنـاـ.ـ وـلـكـنـ مـوـقـعـهـ حـيـالـكـ تـغـيـرـ تـامـاـ إـذـ وـجـدـ أـنـكـ اـكـتـشـفـتـ أـنـ أـحـدـ  
أـعـوـانـهـ اـنـتـحـلـ شـخـصـيـةـ السـيـدـ "روـبـرتـ" فـقرـرـ تـصـفـيـتـكـ.  
— إنـيـ أـشـعـرـ بـرـعـدـةـ كـلـمـاـ فـكـرـتـ فـيـ المـآـزـقـ التـيـ تـورـطـتـ فـيـهـاـ..ـ فـابـتـسـمـ "داـكـنـ"  
وقـالـ :

— فـيـ اـسـطـاعـتـكـ الـآنـ أـنـ تـطمـئـنـيـ..ـ فـقـدـ اـعـتـقـلـنـاـ "إـدـوارـدـ"ـ وـأـعـوـانـهـ جـمـيـعـاـ..ـ  
— وـالـدـكـتـورـ "رـاتـبـونـ"ـ ؟  
— إـنـهـ أـطـاعـ "إـدـوارـدـ"ـ،ـ خـوـفاـ مـنـ الـفـضـيـحـةـ..ـ وـلـكـنـهـ اـعـتـرـفـ بـالـاختـلاـسـ،ـ وـعـبـرـ عـنـ  
أـسـفـهـ وـاسـتـعـدـادـهـ لـلـتـكـفـيرـ عـنـ أـخـطـائـهـ..ـ  
— أـعـلـمـ أـنـهـ لـيـسـ مـنـ حـقـيـقـةـ التـيـ أـسـأـلـ..ـ وـلـكـنـيـ أـرـيدـ أـنـ أـعـرـفـ هـلـ أـوـفـدـتـ أحـدـاـ  
لـيـحـضـرـ شـمـلـةـ "كارـمـايـكـلـ"ـ ؟  
— كـانـ الشـمـلـةـ مـتـمـمـةـ لـلـوـثـيقـةـ التـيـ دـسـهـاـ "كارـمـايـكـلـ"ـ فـيـ جـيـبـ "ريـشارـدـ"

بيكر". ففي الشملة وجدنا اسم الشيخ "حسن الزيارة"، وفي الوثيقة وجدنا كلمة السر. أو بيت الشعر الذي بمقتضاه أعطانا الشيخ حزمة الأفلام.

أليس من المصادفات العجيبة أن يكون نصف السر معه ونصفه الآخر مع "ريتشارد بيكر"؟ فابتسم "داكن" وقال:

ـ بهذه المناسبة. هل لي أن أسألك ماذا في نيتك أن تفعلي الآن؟

ـ سأبحث عن عمل.. وبسرعة..

ـ لا تجهدي نفسك في البحث. يخيل إليَّ أن هناك عملاً في انتظارك.. وتركها ومضى، وعلى شفتيه ابتسامة غامضة. وما هي إلا لحظة حتى أقبل "بيكر" وجلس في المقهى الذي تركه "داكن" في التو واللحظة.. قال:

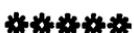
ـ أصغي إليَّ يا "فيكتوريا" .. لقد علمنا أن "فيرونيكا سافيل" أصيبت بمرض يمنعها من الحضور. فهل تعودين أنت للعمل معنا؟

ـ أتريدونني حقاً؟

ـ سنكون سعداء إذا وافقت..

ـ إنني أوفق بكل سرور.

ـ إذن لم يبق إلا أن تتعدي حقائبك.. هلمي بنا..



قال الدكتور "بونسفوت" حالما رآها:

ـ أهذه أنت يا "فيرونيكا"؟ لقد أصيَّب "ريتشارد" بخبيل بعد رحيلك.. ولكن كل شيء قد انتهى الآن وإنني لأرجو لكم السعادة والتوفيق. فنظرت "فيكتوريا" إلى "ريتشارد" .. ونظر "ريتشارد" إليها وأحرم وجههما..